

# أَشْدَاءُ وَأَنْدَاءُ

عبد الله كنون



أَشِيدَاءُ وَأَنْسَاءُ

أَشِيدَاءُ وَأُنْدَاءُ

عَبْدُ اللَّهِ كَتَبُون



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

## مقدمة

لعل الشاعر الذي قال :

ثلاثة تجلو عن القلب الحزن \* الماء والخضرة والوجه الحسن

انما اقتصر على هذه الاشياء التي تنتظم في شيء واحد ،  
وهو آس مادي محسوس ، لأن حياته كانت متكيفة معنويًا  
بالأدب وشؤونه فقط لا غير من جميع انماط الفكر واللوان  
المعرفة

فغير معقول أن يكون هذا القول ، الا من نسج قريخة صناع  
لأديب ضليع مستغرق الوقت في ابداعاته وتصوراته الشعرية  
وهو اذا أراد أن يريح فكره ويجم طبعه لجأ الى هذه المناظر  
الطبيعية التي تمتع النفس وتشرح خاطر فلا يفتأ أن  
يستعيد نشاطه الذهني ويطلق لتخيلاته العنان يسرح ويمرح  
فى آفاق أدبياته من جديد

ونحن وان كنا نرتاح الى جمال الطبيعة ونتمتع بأشذام

أزاهيرها عشية كما قال الشاعر الآخر :

تمتع من شميم عرار نجد \* فما بعد العشية من عرار

وننتعش برؤية قطرات الندى صباحا وهي تبلل كؤوس  
الرياحين المتفتحة بعد اغفاء الليل فنسترجع من قوانا  
الفكرية ما خمد وتبلد تصديقا لما قاله هذا الشاعر نفسه :

ألا يا حبذا نفحات نجد \* وريا روضه غب القطار

ولكننا فى مشاغلنا الفكرية الاخرى لنا ملجأ آخر معنوي  
نستريح فى ظله ونستمتع برؤاه ونسترجع أنفاسنا اللاهثة  
ونسترد طاقتنا المتعبه، هو هذا الادب وفنونه وابداعاته  
العبقريه والتماعاته المشرقة ما كان منها فى رياض الشعر  
وفى حدائق النشر على تنوع أوضاعه من قصة ومقامة ومقالة  
ونقد وبحث طريف خفيف يلهينا ولا نملك الا ان  
نقبل عليه بشغف لما نجد فيه من متعة للذهن وسكينة للنفس  
وشحن لملكة الابداع .

وهذا ما يجعلنا نجدد علاقتنا بهذه الموضوعات الادبية  
ونعطي لها من حين لآخر بعض الاهتمام أو جله ، كما اذا  
كان التعبير بالنثر لا يسع الغرض المطلوب فننتعلل بالشعر  
الذي يكتفى فيه بالاشارة واللمحة . أو كان الموضوع انما

يؤدي بالمثال والايحاء لا بالبسط والتقرير فنفضل الاقصوصة التي تشخصه للكبير والصغير وقل في مقتضيات المقالة والبحث المقتضب ما يناسب كلا منهما .

وعلى هذا المنوال أصدرت مما تجمع لدي من الشعر ديوانين صغيرين احدهما يحمل اسم لوحات شعرية والثاني ايقاعات الهموم والثالث في الطريق ان شاء الله، ومن النثر خمس مجموعات الاولى باسم التعاشيب والثانية باسم واحة الفكر والثالثة بعنوان خل وبقل والرابعة بعنوان العصف والريحان والخامسة بعلم أزهار برية وهذه السادسة التي أطلق عليها علم أشداء وأنداء

فهل ينسأ الله في العمر حتى أعززها بسابعة وما يشاء الله بعد ذلك، ان الله على كل شىء قدير .

وعلى سبيل التذكير نقول ان الموضوع العام في هذه المجموعات هو الأدب والنقد من غير تقيد بمغرب أو مشرق . أما الأدب المغربي من اهتماماتي الاساسية فقد خص بمؤلفات معروفة وكذا الدراسات الاسلامية والتاريخية والاجتماعية ، وعلى الله قصد السبيل وهو سبحانه وتعالى ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق





# العربية امس واليوم

من الكلمات الحكيمة التى كثيرا ما تجرى على لسان علمائنا قولهم: من كثر علمه قل اعتراضه وتنطبق هذه الكلمة على كل من يحشر نفسه فيما لا امام له به من مسائل العلم واللغة والادب، فيسيىء الى نفسه والى الناس بما يظهر من جهله وخطئه، وما يثيره من بلبلة فى الراى وخطأ فى الحكم ومن هذا القبيل الحملة التى يشنها بعضهم على اللغة العربية باتهامها بالقصور عن مجاراة التطور العصرى الحاصل فى العلوم والفنون حتى أصبحت فى عداد اللغات الميتة كاللاتينية واليونانية القديمة والمعتدل من هؤلاء من يقول انها لغة أدبية لا تصلح للمعلم فعلى العرب أن يصطنعوا احدى هذه اللغات الاجنبية التى برزت فى مجال التقنية والحضارة الحديثة كي يسايروا ركب الامم المتقدمة والا بقيت بلادهم بمعزل عن التطور والرقى المنشود، وأثرت هذه الدعاية فى كثير من قادة الفكر ورجال العلم عندنا فادعوا ان تلقين العلوم بالعربية غير ممكن واصروا على بقاء الجامعات فى العالم العربى وخاصة

---

(1) بحث ألقى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدورة 44 ربيع الثانى 1398 مارس 1978 ،

الكليات العلمية منها جامعات أجنبية اللغة إلا ما ندر منها

والذين لم يتجرأوا على اتهام اللغة العربية ذاتها بالقصور  
سلكوا طريقاً آخر للهدم والتشكيك في قدرتها على أداء رسالة  
التنوير والتثقيف للشعب العربي الأمي: التي هي رسالة كل  
لغة حية فقالوا إن حرفها بعيد كل البعد عن الاستجابة لهذه  
الرسالة، فهو غير مشكول وبسبب ذلك يقع القارئ العربي في  
كثير من اللبس ولا يفهم المعنى المراد بسهولة وأن عليه أن يفهم  
قبل أن يقرأ قراءة صحيحة فصار الحرف غاية بعد أن كان  
وسيلة، ومن ثم فما على العرب إلا أن يستبدلوا بحرفهم، هذا  
الحرف اللاتيني المضبوط الذي لا يجد القارئ صعوبة في  
قراءته لأن الحركات التي تشكله هي من صميم كتابته وتخطيطه  
ولعل هؤلاء - ولا أتهم أحداً - إنما يقومون بدور  
الطليعة للآخرين في هذه المعركة الحاسمة التي يريدون أن  
يقضوا بها على اللغة العربية القضاء المبرم.

ومن غير أن أقول جديداً فإن دعوى قصور اللغة العربية  
عن مواكبة التقدم العلمي والحضاري في العصر الحديث، جدير  
بها أن لا تسمع لمخالفتها للواقع ولأن ماضى هذه اللغة  
يكذبها... فالواقع أنه منذ انبثاق عهد النهضة بوطننا العربي

فى مطلع هذا القرن، والعربية تؤدى وظيفتها على اكمل وجه  
فى الميدان العلمى والادبى على السواء، فقد نقنت اليها  
روائع الفكر والفن من الادب الاوربى على اختلاف لغاته من  
فرنسية وألمانية وانجليزية وروسية واسبانية وايطالية  
وغيرها ولم تضق ذرعا بشىء منها واطلع القارئ العربى من  
خلال الترجمة على الاعمال الادبية لبنفاء الكتاب والشعراء  
الغربيين وكذا على الكتب الرائدة فى الفلسفة والاجتماع  
والتاريخ لاعلام الفكر المعاصر ومن قبلهم من عصر النهضة  
الاوربية الى الان .

ولم يكن حظ العلم والمعرفة الصحيحة بأقل من حظ الفلسفة  
والادب فبعض جامعاتنا تدرس العلوم باللغة العربية،  
والممكنون من علمائنا وضعوا مئات الكتب ان لم أقل آلافها  
فى فروع العلم المتنوعة باللغة العربية، وهذا الى عشرات  
المعاجم المختصة بالطب وفنونه والطبيعة وأسرارها، بحيث  
يصح القول ان لغتنا الضادية تسير مع نهضتنا جنبا لجنب وأننا  
لا نتقدم خطوة فى سبيل التطور الفكرى والعلمى الا وتكون  
اللغة أمامنا آخذة بزمامنا لا نفتقدها فى مرحلة ولا مجال .

ولغة هذا شأنها لا تكون ميتة، والعربية لن تصوت أبدا

حتى يموت العرب كلهم، لا قدر الله ولذلك فإن تشبيهها باللاتينية أو اليونانية هو من باب المغالطة، ذلك ان هاتين اللغتين غير متتيتين، والدليل على ذلك أن اللغات الاوربية الكبيرة ما تزال تستمد منهما وترجع اليهما تلتمس عندهما أسباب النمو والحياة، فان أريد بموتهما انهما أصبحتا غير مستعملتين فى التخاطب والكتابة، فإن ذلك صحيح والسبب بسيط وهو تخلى أهلها عنهما، فكيف يقال أن العربية لغة ميتة وأهلها لا يبغون بها بديلا وهم يبذلون فى سبيل نموها وازدهارها النفس والنفيس وقد حققوا من ذلك أغراضا بعيدة وما يزالون يعملون على احلالها محل اللائق بهم بصفتهن أصحاب رسالة وبناء حضارة وخير أمة اخرجت للناس

نعم ان ما يهدف اليه أولئك الخصوم هو جعلها فعلا مثل اللاتينية واليونانية بحمل أهلها على نبذها واصطناع لغة اجنبية عنهم كالانجليزية فى الشرق والفرنسية فى المغرب بأمل التطور والتقدم وذلك ان أرادوا ان يسلكوا الطريق القاصد والسبيل الاحب .

على أن دعوة أخرى مدسوسة كثيرا ما يروجها الخصم بينهم، وهى ترمى الى الغاية نفسها، ومن المؤسف أن يتبناها

بعض أبناء العرب وينساقوا فى حبلىها جاهلين أو عارفين بما  
تؤدى اليه من تقسيم الامة العربية وفصم هذه المروة الوثيقة  
التي تجمع بينهم، وأعنى بها الدعوة الى اخلال العامة محل  
الفصحى، وذلك هو ما حصل للغة اللاتينية بالضبط، حين تحولت  
لهجات الشعوب المتكلمة بها الى لغات فماتت هذه اللغة موتا  
معنويا، وحلت تلك اللهجات محلها فصارت الامة الواحدة اما  
متعددة وما يفرق بينها أكثر مما يجمع وأخيه اللغة .

ويشهد ماضى العربية الزاخر بالفتوحات العلمية  
والفلسفية والادبية أنها لغة حية متطورة باستطاعتها أن  
تحتوى جميع أنماط الفكر الانسانى وتستوعب كل قضايا  
المعرفة الكونية من علوم رياضية وطبيعية تجريبية وتطبيقية  
وقد تفتحت على ثقافات الامم والشعوب التى سبقتها  
وحضارتها فأخذت منها كل صالح نافع وأضافت اليها ما  
ابتكرته وأبرت به على تراث العالم القديم فما قصرت ولا  
عجزت عن مطلب أو مرام .

بل كانت اللغة الاولى فى العالم، وكانت الامم والشعوب  
الماصرة لها تقتبس منها وتستنير بها وتعتبر أدبها هو الادب  
وتفكيرها هو التفكير، حتى ارتفعت الشكوى فى بعض بلاد

الغرب من اقبال شبابها على اللغة العربية وهجر لغتهم القومية هذا على حين أن الانتقال اذ ذاك كان من عربية قاصرة على بعض أغراض الحياة التى تقتضيها ظروف العزلة المفروضة على جزيرة العرب قبل الاسلام، فكيف الان والعربية تجر وراءها هذا التاريخ العاقل بالمجد العلمى والادبى، وأبناؤها يعملون ويكدون ليل نهار فى خدمتها ودفع الضيم عنها..!

واذا تبين أن دعوى قصور اللغة العربية فى المجال العلمى لا نصيب لها من الصحة، فإن دعوى أنها لغة أدبية غير علمية كذلك لا تصح، ضرورة أن اللغة اذا كانت ناجحة أدبيا فلا بد أن تنجح علميا، لان المادة العضوية للغة هى الادب فهو الذى ينمىها ويمدها بنسمة الحياة، وايسر هناك لغة علمية لا أدب لها، ويكفى العربية دليلا على رسوخها فى مجال العلم أن مفرداتها ومصطلحاتها العلمية تشيع فى لغات أكثر الأمم تفوقا فى حلبة العلم والتكنولوجيا وهى مما أقتبسته منها فى عصر النهضة الاوربية، ولم تجد عنها غشام حتى الان بل ان بعض العلوم انما يعرف باسمه العربى فى جميع اللغات وهو علم الجبر ومن الغريب أن يدعى هؤلاء على اللغة العربية ما ادعوا وعندنا من يقول ان من المشكلات التى تواجهها العربية

تعدد المصطلحات العلمية التى نشأت من اختلاف المجامع اللغوية وأساتذة الجامعات فيما يضمونه من أسماء متعددة. للمصطلح العلمى، وهذا على ما فيه أعظم حجة لخصب اللغة العربية وعطائها الجزيل، وقلت على ما فيه لانى أرى فى هذا القول مبالغة كبيرة، فالتعدد المزعوم لا يزيد على 5 الى 10 فى المئة من المصطلحات الموضوعية وهو علامة صحة أكثر منه علامة ضعف فان بعض المصطلحات التى يقع فيها خلاف تحتاج الى فترة من الزمن تخضع فيها لثلاجة والاختيار، وعندها يفرض المصطلح المختار نفسه وعلى أى حال فواقع اللغة العربية ليس كما يتقول الخصوم، بل هو فى ازدهار مستمر بفضل الجهود المبذولة من أبناءها المتفانين فى خدمتها، حتى أن بعض المصطلحات العلمية الجديدة تتعدد وتكرر لاختلاف نظر واضعيها، وهو أمر شبيه بما وقع لاوائلنا فى عهد الترجمة الاسبق فان منهم من كان يجنح للتعريب ولو فى الكلمات الواضحة الدلالة بالعربية فيقولون (أرتماطيقى) فى الحساب و (فيزيقى) فى الطبيعة وما أشبه ذلك ولكن البقاء دائما هو للأصلح

ونخلص للكلام على الحرف العربى الذى اتهم بما اتهم به، فانه بحسب نظر الفنانين الاجانب من الرسامين والمتخصصين

فى اعمال الزخرفة بعد من اجمل الخطوط او اجملها على  
الاطلاق، حتى انهم من فرط الاعجاب بأوضاعه واشكاله  
المنسجمة مع المعمار العربى الرائع يحلونه محل التصوير  
الذى لم يمن به العرب لتحريم الاسلام له، ويجعلون ابداعهم  
فى النقش والكتابة مقابل مافاتهم من الابداع فى التصوير  
والتمثيل.

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث الفائدة فلا ننسى  
اشادة المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون بالحرف العربى  
وتوصيته للعرب بتمسكهم بحرفهم الذى لا يعدله حرف آخر.  
وهى الحقيقة التى لا مرية فيها، فان كثيرا من الحروف  
العربية لا يوجد لها نظير فى الحرف اللاتينى الذى يراد  
استبداله بالحرف العربى ومنها الحاء والضاد والطاء والعين  
والغين والقاف. ومهما عدل هذا الحرف أو ذاك ليصبح دالا  
على المراد منه فانه يبقى بعيدا عن النطق الحقيقى لمنوبه  
العربى. نأهيك بأن عدد الحروف اللاتينية أقل من الحروف  
العربية.

وأما أن القارئ العربى يلزمه أن يفهم الكلام قبل أن  
يقراء قراءة صحيحة، فان هذه سيفسطة مردودة على أصحابها،  
واى كلام لا يحتاج الى الفهم ليقرأ قراءة صحيحة،



فالإنسان فى حالة الشرود الذهنى يمر بسطور عديدة بل  
بصفحات من غير أن يمر ف كيف قراها لانه لم يفهمها، وليس  
كل كلام يفهم بمجرد قراءته ولو كانت القراءة صحيحة.

فالأواقع أن الحملة على العربية سخيفة بقدر ما هى ذنيئة  
ولذلك فإنها وأن أحدثت بعض البلبلة فى بعض الأفكار لم  
تنل من العربية الشامخة الا كما يناله قرن الوعل من الصخرة  
الصماء .

ولست فى حاجة الى بيان ما فى الحرف اللاتينى من  
نقص واشتباه كثيرا ما يقضى الى الارتباك والخطأ فى كتابته  
وقراءته، فالكاف مثلا فى الفرنسية له ثلاثة أحرف أحدهما  
مركب من حرفين. والسين كذلك له حرفان أحدهما هو احدى  
صور الكاف ثم تارة هو سين وتارة زاي وتارة مضعف ولكن  
يقرا سينا مع عدم التضعيف. وقل مثل ذلك فى حرف الهاء  
الذى يركب مع الباء فيصير فا، وبذلك يصبح للفاء حرفان،  
ويركب مع الحرف الذى يستعمل كافا وسينا فيصير شيئا.  
ولا صورة للشين الا هذان الحرفان ثم تارة يكون زائدا لا نطق  
له وتارة رافدا للحركة وهلم جرا والياء ان كان لها حرف  
مخصوص الا أنه يستعمل حركة أيضا، ويعبر عنها تارة بحرف  
الجر مع لا مين وتارة بحرف الجيم والنون وهو من أغرب ما

يرى ولا أستمّر في ذكر هذه المعائب لأنكم تعرفونها، ولكن  
المتهمين على الكتابة العربية يتجاهلونّها ويكونون كالجمل  
الذي لا ينظر حديثه ويتعجب من حديثه أخيه

أضف الى هذا ان الكتابة اللاتينية عبارة عن ثلاثة خطوط  
لا بد للقارئ من أن يتقنها جميعا وهي أولا خط اليد وثانيا  
حروف المطبعة وثالثا حرف التاج في خط اليد وفي المطبعة  
وبين هذه الخطوط فروق كثيرة لاتعرف الا بالممارسة وطول  
المعانة.

واذن فان ما يوخّذ على الحرف العربي انما هو قل من  
كثير مما يوخّذ على الحرف اللاتيني الذي يراد استبداله به  
سواء في صورته أم في افادته ومادام المدار على التمرين وكثرة  
التعهد والتلقين فان ما ينقصنا نحن العرب هو الرجوع الى  
الخط الذي سار عليه أسلافنا في تعليم اللغة لابنائهم ولابناء  
لشعوب التي دانت لهم من غير العرب، انهم لم يكونوا  
يعلمونهم النحو ابتداء كما نفعل اليوم، فالنحو هو ضابط  
اللغة، واذا لم تكن عند المرء حصيلة من اللغة فأى شيء  
يضبط؟

كان القرآن أول ما يحفظه الناشئ كلاً أو بعضاً، وكانت  
النصوص الأدبية الأخرى مثل المعلقات وخطب بلغاء العرب

وأشعار الفحول من شعراء العصر الاموى والعباسى هي الزاد الذي يدخره الناشئ للإنفاق منه طول حياته فى مجال التعبير، وانما الكلام من الكلام، ويأتى النحو بعد ذلك مع بقية العلوم وهذه الطريقة هي المتبعة فى تلقين اللغات عند غيرنا ولاسيما منها ما كان اعتماده على النطق أكثر من اعتماده على القواعد، ومع أن الشكل قد يصمم من اللحن ولكن اللسان إنما يجرى على ما سبق له النطق به: ولذلك يبقى الشكل فى بعض المراحل من التعليم وفى بعض المفردات والجمل فقط، مما يستعان به وليس هو العمدة فلنكثر من القراءة ولنكتف من النحو بما تقضى به الضرورة علما بأن القواعد تنسى ولكن استقامة اللسان على النطق لا تعثرها آفة.

ولنا فى الذين أخذوا بهذه الطريقة خير مثال ونذكر منهم الاستاذين مكرم عبيد فى مصر وفارس الخورى فى سوريا وهما غير مسلمين ولكنهما كادا يكونان من حفاظ القرآن لكثرة قراءتهما له وتمهدهما لتلاوته فأصبحا بذلك من أبلغ الخطباء العرب وأفصح الناطقين بالضاد، وغيرهما من المشائخ والاساتذة كثير

وتحضرنى هنا كلمة للامام مالك قالها فى غير ما نحن

فيه ولكنها واردة علينا وهى قوله: (لا يُطع آخر هذه الامة  
الا بما صلح به اولها) اى المحافظة على اصالتها فكل اصلاح  
لا يتوخى معنى الاصاله والانطلاق مما انطلق منه بناء كياننا  
الاولون، يجب أن نحذر منه ونعلم مسبقا أنه انما يهدف الى  
إضعاف مقوماتنا ومحو شخصيتنا ليسهل عليه استتباعنا فيما  
بعد:

وانى أعتبر العمل الذى نقوم به فى هذا المجمع والمجامع  
الموازية له هو السبيل الوحيد لكم الافواه المتقولة وإبطال  
الدعاوى المتجنية، وكلما سرنا فى هذا الطريق قربنا المسافة  
المبلغة الى الغاية المطلوبة: فعلىنا أن لا نلتفت الى المشاغبين  
والمعوقين ولو بالرد عليهم، فان أعظم رد هو هذه القوائم  
التي تقدمها مختلف لجان المجمع كل عام بمئات المصطلحات  
وعشرات المقررات وانى لذلك لا أستحسن شغل الاساتذة  
الاعضاء بتناول الاشكالات والايرادات التي يوجهها الخصوم  
الى اللغة العربية، وجعلها الموضوع الاول للبحوث التي  
يقدمونها للمجمع: فكم من بحث لفوى أصيل يفوتنا  
باشغالهم بهذه الموضوعات المجرجة المملولة التي انما يريد  
أصحابها بطرقها فى كل مناسبة أن تتكرر من اجل ان تنقرر  
ومن عادات السادات معادة المعادات.

# هل كان شارل مارتيل وراء وقف المد الاسلامي باوربا

بدأت مسيرة الفتح الاسلامى فى أوربا سنة 92هـ بحملة طارق بن زياد على اسبانيا، حيث نازل ملك القوط بجيش من المغاربة قوامه اثنا عشر الف مقاتل، فتم له فتح البلاد فى ظروف أكثر من مواتية. وكان ذلك حافزا لمولاه موسى ابن نصير، والى افريقية من قبل الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك، على عبور البحر الى الارض المفتوحة التى سميت بالاندلس ومواصلة الجهاد الى أن دخل «الارض الكبيرة» وهى فرنسا كما كان المسلمون يسمونها. ويقول بعض المؤرخين أن مقصد موسى بن نصير أو الفاتحين المسلمين على العموم كان هو الانطلاق فى أوربا من غربها الى شرقها حتى القسطنطينية عبورا بآسيا الصغرى وانتهاء الى عاصمة الخلافة دمشق. وقد تابع الولاة الذين خلفوا موسى بن نصير على افريقية، حركة الغزو والتوغل فى أراضى الفرنجة وبخاصة جنوبى فرنسا حتى وصلوا الى نهر الرون وتمركزوا فى مدينة أفينيون وهى التى يسميها العرب أربونة. وكانت تحركاتهم تتوقف تارة وتنبت أخرى، بحسب الوضع الامنى

الذى تكون عليه بلاد الخلافة اعتبارا من الشام الى المريقية  
والاندلس.

وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كان الـوالى على  
افريقية والاندلس هو عبيدة بن عبد الرحمن السلمى،  
فاستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الفافى،  
وكان شجاعا مقداما ففزا فرنسا وأوغل فى أرضها وأصاب  
غنائم كثيرة، فكتب اليه عبيدة يتهدّده، فأجابه عبد الرحمن  
بما نصه «أما بعد فإن السموات والأرض لو كانتا رتقا  
لجعل الله للمتقين منها مخرجا»

ثم مضى فى سبيله غازيا لا يلوى على شىء حتى قتل هو ومن  
معه من الشهداء، سنة ١١٣ وقيل ١١٤ هـ وهذه الغزوة التى  
استشهد فيها عبد الرحمن هى التى تغرف بواقعة بلاط  
الشهداء وقد جرت فى سهل بواتبة بفرنسا بينه وبين  
شارل مارتيل الذى يسميه المؤرخون المسلمون قارله .

وشارل هذا كان حاجبا متحكما فى قصر الفرنجة وسمى  
فى توحيد ممالكها، وهو جد آل لمان الشهير الذى كانت  
بينه وبين هارون الرشيد علاقات ودية، وكان مقاتلا جريئا  
تصدى للغزو العربى وانتصر على عبد الرحمن الفافى فى

المعركة المذكورة، وطارت له بذلك شهرة عند الافرنج ولقب  
بمارطيل أى المطرقة لشدته.

ويعتبر الاوروبيون واقعة بواتى هذه، من المواقع الحاسمة  
بين المسيحية والاسلام، ويقول مؤرخوهم انها التى أوقفت  
تقدم المسلمين فى أوربا وأن شارل مارتيل هو منقذ المسيحية  
فى الغرب من اكتساح الاسلام لها، بانتصاره فى هذه المعركة  
وهزيمته للعرب. واذا كان للمؤرخين الأروبيين أن يقولوا  
ما شاءوا بدافع التعصب وإلأكبار من شأن هذا النصر الذى  
اكتسبه شارل مارتيل فى واقعة حربية عادية جرى قبلها  
وبعدها بين الطرفين كثير من أمثالها، فالمجب من بعض  
مؤرخينا المحدثين الذين يتابعونهم فى رأيهم ويؤكدون  
النتيجة التى بنوها على هذه الواقعة ويساهمون فى عقد اكليل  
الغار على رأس شارل مارتيل من حيث يشعرون أو لا  
يشعرون.

ان شارل مارتيل لم يوقف تقدم المسلمين فى أوربا ولم  
يكن ذلك باستطاعته ولو حاوله، لان المد الاسلامى كان  
اقوى منه لو استمر كما بدأ، ولم يقفه ما جعله يتوقف،  
ريثما تعود كلمة الاسلام الى جمع، وأمر المسلمين الى سداد،

وقد كان المسلمون بتعرضون لازمات داخلية فيتوقفون ثم يراجعون سيرتهم الاولى ولكنهم توقفوا نهائيا لعوامل واسباب مختلفة من حروب وفتن فيما بينهم، أضف الى ذلك بعد العاصمة ومركز القوى الدافعة عن مواطن القتال في غرب أوربا... فالخلاف بين الولاة فى الاندلس وبين عناصر السكان من مغاربه وعرب، وتزعزع كرسى الخلافة الاموية فى المشرق، ثم قيام الدولة العباسية وانقطاع المدد الحربى عن هذه الواجهة الكبيرة، مع ما انضم الى ذلك من مواصلة الغزو فى اراضى افرنجة، كل ذلك يجب ان يحسب له حسابه فى توقف الفتح الاسلامى فى فرنسا وغرب أوربا وليس لشارل مارتيل فى ذلك من يد الا موافقة الظروف ومساعدة الاحوال فى واقعة العرب على حين ضعف وقلة استعداد، وهى جولة حربية كان من الممكن أن تجدد على يد قائد آخر غير عبد الرحمن وتكتسب، ويكون لها ما بعدها لولا هذه الاحداث الكبرى التى حصلت فى المحيط الاسلامى وعاقبت الغزو عن الاستمرار ولا ننس من عوامل الهزيمة فى هذه الواقعة ما ألمعنا اليه من مغاضبة عبد الرحمن لوالى افريقية ومضيه فى غزواته بدون موافقة رئيسه الامر الذى يجعله غير متمتع بمساعدة



السلطة العليا للبلاد، وهذا يعنى أن قوته لم تكن بالقدر الكافى، عددا وعدة، لمواجهة خصم قوى شرس فى عقر داره، على خلاف ما يدعى المؤرخون الاروبيون من أنها كانت تعد بمشرات الالاف، وهكذا يبنون من الحبة قبة ويضفون على معركة بواتيه صفة المعركة الحاسمة بين الاسلام والمسيحية، ويصبح شارل مارتيل فى التاريخ الاروبى بطلا خالدا واسطورة انتصاره على العرب موضع تقدير حتى من بعض كتابنا مع الاسف.

# محمود حسن اسماعيل

الشاعر المصرى الذى توفى فى الكويت

لحى الله الايام على قلبها، وتنكرها للفاضلين من اهل الفكر والادب والعلم؛ ولحى الله الايام على ما حجبت عنا بثورتها المزعومة على الماضى من محاسن ذاك الماضى ومباهجه فمن كان يظن أن هذا الشاعر المصرى الكبير المشغوف بوطنه مصر العروبة والاسلام، ريفا ونيلا ومصدر اشعاع عبقرى خالد، يموت غريبا عنه فى طلب القوت على كبر سنه؟ ومن كان يقول ان هذه آلتخبة الممتازة من أدباء مصر وكتابها وشعرائها التى ملأت فى حقبه من الزمن، حيزا كبيرا من أفكارنا وشغلتنا طلبا وآساتذة بأبداعها وعطائها الخصب، يفيب عنا خبرها حتى نتلقى نعى أحد أعلامها بعد أشهر من وفاته، وقد كانت لا تفارقنا لحظة بما نقرأه لها وعنهما فى الصحافة الادبية المصرية التى كانت ملء السمع والبصر وغذاء العقل والروح.

فهل نحن فى تقهقر يسمى تقدما، كما تسمى الهزيمة اليوم انسحابا فنيا، أم ماذا ؟

نعم توفي الشاعر محمود حسن اسماعيل صاحب ديوان  
أغاني الكوخ وهكذا أغنى، وغيرهما من الدواوين التي تزيد  
على العشرة، بالكويت في شهر أبريل الماضي، ولم نعلم بالخبر  
إلا الآن، في أواخر يوليو لأن هذا التقدم التقهقري الذي  
أحاط بكل شيء حتى بالحياة الثقافية، جعل المجلة لا تصل  
إينا إلا بعد شهور من صدورها والكتاب إنما نحصل عليه  
بطريق التهريب، ومن ثم فإن أكثر دواوين الفقيد التي  
صدرت في (العهد الجديد) لم نعرف منها إلا الاسماء.

وبالرغم من ذلك فقد عرفنا محمود حسن اسماعيل  
شاعرا أصيلا حفيا بالكلمة العربية معتزا بحرفه الاسلامي  
مجددا في غير اسفاف، لسان حال الطبقة المحرومة المعبى  
عن آلامها بأبداعية مطواع فهو لم يضطر قط الى حمل صليب  
يلفت به الانظار حين يعوزه التعبير ولم يلجأ أبدا الى تحطيم  
المعايير والموازين المتعارفة ليقول انه يطور ويجدد، وبذلك  
انتشر شعره على صعيد العالم العربي وجرى على لسان  
الناطقين بالزاد من الخليج الى المحيط:  
يقول في قصيدته المسلمون

من هؤلاء الخانعون ؟ أفهؤلاء المسلمون ؟  
أبدا، تكذبني وترجمني الحقائق والنظنون !

انا منهم لكننى      نفهم بسمهم شريد  
 ربضت به الاصفا بل      طحنته غمفة العبيد  
 وجوار شرق مبدىء      بأنين أمته سعيد  
 ابكى عليهم ام على      غل يكبلنى شديد  
 أنا هجرنا الله هجرنا      رتنا لشيطان مريد  
 عات تروضنا حفا      رته لكل هوى مبيد  
 ولكل من يحى لنا الاسلام      فى كفن جديد  
 نسجته أخيلة العصور      ر السود منذ زمن بعيد  
 لتحيل دين محمد      وهما على نعش مجيد  
 واذا الجنازة لسوعة      حرى مشيعها سعيد

فلنتأمل هذا التصوير الشجى لحال المسلمين الذى لا  
 يدركه الا من كان يعيش فى ضمير الاسلام الحق، ويرى  
 المؤامرات التى تدبر للاجهاز عليه باسم الفهم الصحيح لدعوته  
 وبعثه من جديد.

ويقول فى قصيدة ثورة الاسلام فى بدر.

من فجاج الفيوب هاجت صباحا

ثورة فى الرمال هبت تزمجر

قيل (بدر) فزلزلت هدأة النا

س وكاد النشيد بالدم يقطر

أقبلت كالمعجاج فى هبوة الحر

ب (قريش) على الحياض تنفر

كل ذى سحنة كخا شية اللي

ل وهول يرتاع منه الفضفر

يتنزى بسيفه من ضلال

هو أعمى لديه والسيف مبصر

عجبا للحديد يهدى الى اله

ق وهاديه كالضريم المحير

وعلى التل خاشع فى عريش

قدسى الظلال زاك منور

هالة تسكب الجلال وتندى

بوميض الهدى يفيق ويسحر

لو رمت كأسف البصيرة أعمى

عاد منها مبلج القلب أحور

قسما ما أراه انسا فأنى

اتحدى به بنان المصور

رحمك الله يا محمود : ونحن نتحدى بك عاصفة من

الضواء تسمى اليوم شعرا.

# سيداتى ساداتى

جاء فى الكامل للمبرد ج نى ص 146 مايلي:

عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدين من الخوارج ولو قلت من المجتهدين وأنت تعنى امرأة كان افصح لانك تريد رجالا ونساء هى احداهم، كما قال الله عز وجل (وصدقت، بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين) وقال جل ثناؤه (الا عبوزا فى الغابرين) منهم البلغاء وهى امرأة من بنى حرام - الخ .، فتال المبرد منهم ولم يقل منهن

واذا كان هذا فى جمع السلالة المبني على الفرق بين الذين واللواتى - على حد تعبير الرصافي - فإنه فى جمع التكسير الذى لا يراعى فيه ذلك الفرق أحرى ولا شك.

وبذلك يعلم أن قولنا فى المحاضرات وفى الاذاعة: سيداتى ساداتى لا لزوم له اذ يغنى ان نقول ساداتى او ايها السادة فتدخل السيدات فى ذلك من غير ان يكون عليهن فى الامر غضاة، كيف وهو أسلوب القرآن الكريم.

نعم اذا كان الخطاب خاصا بالنساء لا يشترك فيه غيرهن

فحينئذ يحسن استعمال جمع المؤنث السالم وان صح ان  
يحل غيره محله

والذين يلتزمون بغير هذا الخطاب انما يقلدون الاجانب  
فى اقوالهم كما يقلدونهم فى اعمالهم ينسون ان اللغة  
الاجنبية التى يحاكونها يختلف فيها لفظ الخطاب للنساء عن  
لفظ خطاب الرجال: (ميدام ميسيو) Mesdames Messieurs

وهاهنا لطيفة وهى ان جمع التّكسير اذا كان بعموم معناه  
يشمل الجنسين فانه بخصوص لفظه يعتبر مؤنثا ويعامل  
معاملة المؤنث فى حقوق التاء بفعله وصفته كما قال تعالى  
( قالت الاعراب) وقال (اذكروا الله فى أيام معدودات) ومن  
ثم قال الشاعر :

ان قوما تجمموا	وبذمى تحدثوا
لا ابالى بجمهم	كل جمع مؤنث

# ادبيات رمضان

لشهر رمضان في الحياة الدينية والاجتماعية عند المسلمين تأثير خاص، ينمكس بمظاهره المختلفة على أعمال الادباء ولاسيما الشعراء انعكاسات ذات ظلال لطيفة وآلوان جميلة واذا قسمنا الشعراء الى فريقين، فتاك ونسك، نجد في الفريق الاول أبا نواس الذي اشتهر من شعره بين الفتاك قوله :

اذا العشرون من شعبان ولت

فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صفار

فقد ضاق الزمان عن الصفار

ذلك أن هذه الطبقة من الناس كانت تحترم رمضان، فلا تجترم تناول الخمر فيه احتراماً له واعتداداً بأنه شهر عبادة ونسك فلا تنتهك حرمة، وانما تحاول أن تشفى غليلها قبل حلوله بمواصلة الشرب ليل نهار وبالأقداح الكبار، حتى اذا انصرم بادرت الى ما كانت عليه قبل من التهتك والانهماك كما قال شوقي.



رمضان ولي، هاتها يا ساق

مشتاقه تسمى الى مشتاق

ورحمة الله على الفتاك من هذا القبيل، فإنهم على كل

حال كانوا يحترمون شهر رمضان

ويقابل هذا الفريق فريق النساك، وهم يعتبرون شهر

رمضان موسم عمل وتجارة وفلاح، تجب المبادرة فيه الى

التوبة وتدارك ما فات، وذلك هو ما يعبر عنه بعضهم بقوله:

يا ذا الذى ما كفاه الذنب في رجب

حتى عصى ربه فى شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما

فلا تصيره أيضا شهر عصيان

واشتهر من قول هذا الفريق فى صيانة شهر الصوم عن

اللفو والرفق على ما جاء فى الحديث الشريف، بيتا ابى بكر

ابن عطية:

لا تجعلن رمضان شهر فكاكة

تلهيك فيه من الحديث فنونه

واعلم بأنك لا تنال ثوابه

حتى تكون تصومه وتصونه

ويظهر أن الامام ابن عطية كان مهتما بأخلاقية رمضان  
فلذلك قال فى الموضوع بيتين آخرين مشهورين أيضا:  
إذا لم يكن فى السمع منه تعاون

وفى بصرى غض وفى منطقى صمت  
فحسبى اذن من صومى الجوع والظما

وان قلت انى صمت يوما فما صبت

وفى البيتين جناس تام، وهو مما يدل على براعة  
محبهما الادبية بالاضافة الى امامته فى الحديث والتفسير  
وهذا على أن الصمت بضم الصاد كما نقله ابن منظور فى  
اللسان وأما على أنه بالفتح كما يفهم من اطلاق صاحب  
القاموس فالجناس محرف

وهذه النظرة الاخلاقية التى كان المتقدمون يعللون بها  
الصيام، أضيفُ اليها اليوم التعليل بالتجربة العملية لما يعانىهِ  
الفقير من الجوع وقلة المؤونة ليكون باعثا للصائم على  
الاحسان والمواساة، وفى ذلك قلتُ من زمن بعيد:

ان الصيام مواساة وإحسان

قضى بذلك قرآن وبرهان

نعم الصيام مع المصروف تبذله

وبيس فيه مع الحرمان حرمان

ومن أدب الصيام الاقطار بالتمر على ما جاء في السنة من انه  
(ص) كان يفطر على تمرات فان لم يجد فرطبات فان لم يجد  
حسا حسوات من ماء وأنشدنا شيوخنا رحمهم الله غير مرة  
في هذا المعنى بيتين للحافظ المقرئ صاحب نفح الطيب ارتكب  
فيها الجناس المحرف أيضا وهما

فطور التمر سنه

رسول الله سنه

ينال الاجر عبه

يعطى منه بينه

وظاهر ان لفظ سنة الاول بالضم والمراد به السنة النبوية  
والثاني بالفتح وهو فعل والثالث بالكسر والمراد به السن  
التي تكون في الفم .

وبالمناسبة اذكر هنا أن الاخ الاستاذ الدكتور تقى  
الدين الهلالي نزيل المدينة المنورة الآن، اهدى الى سلة من  
التمر الممتاز المعروف بالمجهول - لفظه وجفاوته - وذلك  
في أحد الرمضانات، اذ كانت تلك عادته معي، أكرمه الله  
في كل رمضان، فقلت هذه الابيات الثلاثة:

زينت مائدة الفطور بتحفه

(مجهولها) أضى من المعلوم

أكرم بمهديها وما يهدى له

من الاعتصام بسنة المحصوم

حببتها للناس حتى أنهم

يأتونها بشبهة المنهوم

وأرسلتها إليه فكانت أوقع في نفسه من كل جواب

شكر كنت أبعث به إليه.

ومن مستملح أدبيات رمضان ما روى أن ابن سيرين

سئل وهو في المسجد عن رواية الشعر في رمضان وقول قوم

أنها تنقض الوضوء فقام ليؤم الناس وهو ينشد:

أنبتت ان فتاة كنت أخطبها

عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

والقول في أدبيات رمضان أوسع جدا وفي هذا القدر

لنأية، ولم نعرض للأعمال النثرية، وهي كثيرة في كتب

الوعظ كلطائف المعارف لابن رجب والروض الفائق للحريشي

وطهارة القلوب للديريني وغيرها، فليرجع إليها من شاء

ففيها إنشاء رقيق مؤثر لا يقل عن أي إنشاء أدبي في موضوع

آخر.

# نظرة في المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

تأليف: المستشرق رينهارت دوزى ترجمة: الدكتور أكرم فاضل

ألف المستشرق الهولندي الشهير رينهارت دوزى هذا المعجم باقتراح من المعهد الملكي للبلاد المنخفضة سنة 1841 ونال جائزة المعهد عليه سنة 1843، ومما جاء فى تعليق عليه نُشر بالجريدة الآسيوية المعروفة هذه الفقرة «ترى من أين استقى هذه المعلومات الصحيحة الدقيقة من الأزياء التى تخص أقطارا أجنبية؟» .

والواقع ان العمل كبير وشاق، وان استنطاق المخطوطات والوثائق الرابدة فى المكتبات العمومية لتأليف معجم كهذا لا يقدر عليه الا باحث صبور بمثل همة المستشرق دوزى .

ومنذ تأليف هذا الكتاب وهو قابع فى نصه الاول، لم ينقل الى لغة الامة المعنية به، فضلا عن ان يقوم عربى بتأليف نظير له، كما لاحظ مترجمه الدكتور أكرم فاضل.

وقد أخرجت هذه الترجمة وزارة الاعلام العراقية بعناية مديرية الثقافة العامة بها فى طبعة جميلة سنة 1971 فى سلسلة المعاجم، وكان هذا المعجم هو الحلقة الاولى من هذه

السلسلة، وذلك في نطاق النشاط الثقافى وحركة النشر  
الواسعة التى تقوم بها وزارة الاعلام فى العراق منذ سنوات  
والتى عوضت ما اعتري حركة النشر فى أقطار عربية أخرى  
من ضعف وفتور، ولما كان أكثر المواد التى تناولها المعجم مما  
يتعلق بالازياء والالبسة الخاصة بالاندلس وأقطار المغرب  
العربي ومصر كما جاء في كلام المترجم الفاضل، وهو في الحقيقة  
كذلك، فأنى رأيت من باب التعاون على تجلية الموضوع بما  
يجعله أكثر وضوحا ولا سيما فى أسماء الملابس  
المغربية، أن أصح بعض الأخطاء التى وقع فيها المؤلف،  
وهى ليست بالكثير، وذلك اما ضبطا أو تفسيراً أو تخريجا  
وبعضها مما توقف فيه، فلم يجزم برأى فى شأنه، وعذره  
أنه بعيد عن الميدان وانما يستقى من الاوراق، وهى تضمن  
بالمعلومات الضرورية فى هذا الصدد، وكفاء ما سجله ووصفه  
من الاسماء والمسميات على وجه الصواب وعلى صعيد البلاد  
المغربية عامة، وهو الكثير الغالب الذى يتضام فى جانبه ما  
أخطأ فيه، والله الموفق.

جاء فى ص 16 تعليقا: وصف الفقيه أبى الحسن شارب  
رسالة ابن أبى زيد القيروانى بالشاذلى وهو غير صحيح:

فان أبا الحسن هذا مصرى وأبو الحسن الشاذلى مغربى وهو صوفى معروف تنسب اليه الطائفة الشاذلية، والمصرى فقيه أزهرى من أهل القرن التاسع وشرحه معروف متداول به تدرس رسالة القيروانى فى الفقه المالكى.

فى ص 40 فسر المؤلف المئزر بالتبان وجعله فى مقابلة caleçon والمئزر فى الاستعمال العام الى اليوم وفى اللغة غير التبان ولا ينبغى ان يختلف فى ذلك، نعم مقابلة التبان بالكلسون صحيحة.

وجاء فى ص 41 تعليقا تفسير كلمة المشور التى تعنى فى الاصطلاح المغربى ساحة القصر الكبير، حيث يجتمع الاعوان وحاشية الملك، وهى مأخوذة من المشاورة ولكنها لا تعنى اطلاقا مجلس الشورى، وانما يراد بها المكان الذى يشاور الملك على الموجودين فيه من طالبى مقابله، ولذلك يكون قائد المشور أى حاجب السلطان أو من يبلغه رغبة القادمين، لمقابله، من أبرز الشخصيات الذين يضمهم المشور فينبغى أن يرد كل ما جاء فى ذلك التعليق الطويل الى هذا المعنى ولا يمدل به عنه، لانه ما يزال مدلوله هذا قائما وداله مستعملا فى المغرب فى جميع القصور الملكية .

فى ص 47 فذلكة عن (التماك) غير محررة، فقد ذكر ان الكلمة تركية وهذا صحيح وكتبها طوماق وقال ان العرب اضافوا اليها ال واعتبروها جزءا من الكلمة ولذلك رسمها هكذا الالطماق وجمعها على الالطماقات، وهى فى المغرب لا تعرف الا بالتماك على اعتبار ان ال الشمسية داخلة عليها واولها تاء واخرها كاف فارسية، وفى القاموس التركى تطلق على الحذاء الخشن وفى المغرب تطلق على الحذاء الجلدي الطويل الساق الذي يلبس عند ركوب الخيل.

فى ص 52 نقل المؤلف عن الصحاح تفسيراً لكلمة البت وابتاتا رجزية فيه، اوردها الجوهري بهذا اللفظ: وقال الراجز فى كساء من صوف:

من كان ذابت فهذا بقى مقيظ مصيف مشيت

اخذته من نعجات ست

فجعلها دوزي من نظم أحد الصوفية، وعلق على ذلك بانه لا يخامر شك فى ان هذه النعجات الست ترمز الى الدرجات الست التى يتألف منها التصوف كما يرى بعض العارفين الخ ما كتبه فى هذا الصدد مما لا علاقة له بالموضوع



ويأباه تمام الالباء الشكل والمضمون للشاهد الذي اوردته  
الجوهري والذي يدل بطبيعته على انه من نظم احد الرجاز  
العرب قبل أن يكون هناك صوف وصوفية، وهكذا يتعامل  
هؤلاء المستشرقون فيما لا لهم بهم

في ص 53 عند الكلام على البجاد قال المؤلف «فليس في  
مقدوري ان اقول اكثر من ان الكلمة تعنى كساء مخططا  
من تلك الاكسية التي يرتديها الاعراب البداءة، وان عبد الله  
ابا الرسول كان يرتدي بجادين فسمى بذى البجادين» والذي  
يعرف بذى البجادين هو عبد الله المزنى الصحابي دليل النبي  
صلى الله عليه وسلم لا والده عليه السلام، والمجيب انه  
نقل نص القاموس في ذلك ولكنه ابي الا ان يغيره من  
دليل الرسول الى ابي الرسول.

في ص 56 ذكر تعليقا ان الرداء يقابل manteau وفي  
هذا نظر، وقال في تعليق اخر ان كلمة جبذة لا وجود لها  
في القاموس وهذا غير صحيح فانه ذكر الجبذ والاجتباذ ثم  
قال والفعل كضرب.

في صفحة 66 وما بعدها كلام على البرنس يعتمد على  
نقول من مؤلفات أجنبية مختلفة ولذاك طال وتمددت فيه

الانظار ولو اعتمد على المشاهدة ولو لنموذج واحد مما يسمى  
البرنس لما وقع فى ذلك الاختلاف الكثير .

واحسن ما عرف به البرنس من الاقوال المتضاربة التى  
نقلها هو أنه لباس يشبه المعطف له غطاء للرأس فى نهايته  
عقد ضخمة من الحرير. ثم أنه يكون من الصوف والجوخ ولونه  
أسود وابيض والاسود غالبا ما يلبس فى فصل الشتاء ومنه  
ما يسمى بالسلهام وذلك فى المغرب يكون من نسيج صوفى  
رقيق وهو لباس الطبقة العليا من الموظفين والعلماء  
وغيرهم، وذكر المؤلف انه يلبس فوق الحائك يعنى الكساء  
الذى يكون من نفس النسيج كما أنه يلبس فوق الجلباب  
المغربى المعروف، وهو اللباس الرسمى ويشترط أن يكون  
أبيض، ووقعت كلمة الحائك عنده هكذا: الحيك ... وصوابها  
ما ذكرناه كما أن كلمة السلهام جاءت عنده بصورة زلحم  
ترجمة خاطئة لـ zolham ويجمع السلهام على سلام وفيه قال  
الشاعر مجنسا.

وبدر لاح من تحت السلام

يقول لكل قلب قد سلام

الى آخره.

فى ص 75 تعليقا عن المستدرك على المعاجم لدوزى: أن  
البلغة هى العمل المتخذة من الحلفاء وهذا غلط فإنها تتخذ  
من الجلد ويكون وجهها أبيض أو أصفر من نوع ممتاز من  
الجلد.

فى 87 ذكر المؤلف البناقة وجمعها بنائق .. وهى فى  
نطق العموم بنية لا بناقة ولذلك جمعت لى بنائق.. وقال لا  
وجود لهذه الكلمة فى القاموس، وهو ان كان يعنى بالمعنى  
الذى تستعمل فيه عند أهل المغرب الان فصحيح والا فانها  
لفظة عربية ذكرها القاموس وغيره بمعنى ما يشبه الطوق  
يقال بنق القميص جعل له بنية وهى القطعة من الثوب تزداد  
فى نحره، واطلاقها فى المغرب على ما تلف به المرأة شعرها  
وخصوصا عند الخروج من الحمام وتكون من ثوب نفيس  
ومطرزة بالحريز ونحوه.

فى ص 99 بعد ان أورد تفسير الجوهري للجديل  
بالوشاح وأيده بما قاله التبريزى فى شرح الحماسة، تدارك  
بأن رأى القاموس فى الجديلة لا يمح تفسيره بالحزام  
ولكن بنوع من السراويل وغفل عن أن الذى يطلق بمعنى  
الحزام هو الجديل وهو الذى فسر الجوهري بالوشاح وأشار

اليه القاموس كذلك، وما قاله الفيروزابادى فى الجديدة هو  
أحد معانيها وهو على كل غير الجديل.

وفى الصفحة نفسها كلام على الجربية، وهى نوع من  
النسيج الصوفى ممتاز ولعله فى الاصل منسوب الى جزيرة  
جربة بتونس، ويطلق فى المغرب على القطعة من النسيج  
الصوفى المحبب الذى تتخذ منه الجلايب ونحوها.

وفى هذه المادة أشار المترجم الفاضل فى تعليق له على كلام  
المؤلف وما وقع له من الوهم فى نقله عن كتاب الاحاطة،  
ولكنه لم يحقق المناط، فالكلمة التى وهم فيها المؤلف ليست  
يجيز ولا يجيز وانما هى يجبر بالباء الموحدة بمد الجيم  
وبذلك يصح المعنى الذى أراد السائل حين قال: وبم يجبر  
الاعلى؟

كذلك وقع فى هذه المادة ترجمة Gezoula بغزولا وهو  
خطا والصواب جزولة وهى قبيلة مغربية ينسب اليها الكثير  
من أهل العلم بلفظ الجزواى

فى ص 102 يقول المؤلف عن نوع من الالبسة انها يجب  
أن لاتكون من اللون الاخضر لان محمدا كان يحب هذا اللون  
وان ذراريه يحملون العمامة الخضراء والناس يعتقدون

بايدائه اذا لبسوا الثياب الملونة باللون الاخضر، ولم يكونوا من أحفاده الخ، وهذا الكلام كله باطل وهو من تغرصات المستشرقين .

فى ص 115 تكلم المؤلف على الحزة بكسر الحاء وقال أنها لا وجود لها فى القاموس وهى بهذه الصيغة كذلك كلمة قاموسية لا غبار عليها فهى حزة بضم الحاء والعامّة تدغم الجيم فى الزاى بعد قلبه زايا فتصير حزة ومعناها مجرى التكة فى السراويل ويقال أيضا حزة الازار بمعنى معقده.

فى ص 121 كلمة بعنوان الحيك أو الحائك وسبق لنا ان صوابها هو الحائك بصيغة اسم الفاعل كما ينطقها العموم هنا فى المغرب وقلنا فيما سبق أنها تعنى الكساء وذلك بالنسبة الى الرجال، وأما بالنسبة الى النساء فهو ما وصفه المؤلف، وقد يطلق أيضا على ما يلبسه الرجال اذا كان خشنا غير رفيع فيختلف بذلك عن الكساء ووقع فى هذه الكلمة ترجمة اسم القبيلة حاحة بحيعة وذلك ناشئ عن كتابتها كذلك بالحرف اللاتنى تبعا للنسبة اليها الجارية على اللسان فانها يقال فيها الحيحي، ولكن على لسان العموم، وأما فى كتابة أهل العلم فانها تكون على الأصل أى العاحى كما نرى

فى اسم صاحب الرحلة العبدرية الشهير بالعاى نسبة الى هذه القبيلة (I) ووقع فى هذه الكلمة خطأ اخر فى ترجمة السفير ابراهيم معينو، اذ جاء لقبه هذا بصورة مانينو وأسرة معينو أسرة ماجدة معروفة بمدينة سلا، وقد ذكر هذا السفير بمناسبة ما جاء فى وصف لباسه اثناء قيامه بمهمة فى امستردام عام 1659، وكذلك وقع خطأ فى اسم الخيوط التى تتدلى من طرفى الحائك فكتب (هدو) حسب اللفظ الافرنچى Hudou وصوابه هدوب وكتب لفظ بزييم بالسین هكذا ابسيم، وكتب اسم المنصورية المنسرية بسین بعدها راء والصواب كما ذكرناه وهذه الكلمة فيها خلط كثير وقد صوبنا جله.

فى ص 142 فسر المؤلف كلمة حريشة التى جاءت وصفا لخميصه من لباسه (ص) بأنها نسبت لموضع يبدو أنه كان مشهورا بحياكة هذا النمط من اللباس؛ وقال فى تعليقه على الحديث الذى وردت فيه تلك الكلمة؛ وقد بحث عبثا عن كلمة حريشة التى هى اسم مكان فى عدة كتب مطبوعة ومخطوطة والصواب أنها نسبة الى رجل من قضاة اسمه حريث كما عند شراح الحديث .

---

(I) وقد تكرر هذا الخطأ فى صفحة 143 وغيرها

فى ص 144 تعرض لكلمة مفنوس وكتبها مفنس بحسب  
النطق الاجنبى المحرف، وهى تعنى لبس البرنس أو السلهام  
بادخال الرأس فى فتحته التى كون عند غطاء الرأس، يقال  
أغنس سلهامك أى لا تضعه على كتفيك بل البسه، وذلك  
كثيرا ما يكون فى الرسميات ويزاد عند مقابلة الملك التجنيح  
وهو أن يرد جناح السلهام الايسر الى وراء وهذه أمور ما  
تزال تتبع الى الان فى المغرب:

وفى الصفحة نفسها كلام على الدرع وقد فسرهما  
بالقميص، وقال : كثيرا ما استعمل الشعراء هذه الكلمة  
اشارة الى المرأة نفسها واستشهد ببيت للمعتمد بن عباد  
وهو.

ان نشرت تلك الدروع حنادسا

ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء

ثم عقب على ذلك بقوله: «لادراك معنى هذا البيت ينبغى  
أن نتذكر ان الشعراء يشبهون الغيد بالليل بسبب شعرهن  
الاسود، ويشبهون الخمر بالنهار أو بالشمس لبريقها ولألها  
وعلى هذا الاساس أترجم هذا البيت «اذا كانت هذه الفتيات  
(حرفيا هذه القمص) قد نشرت الظلمة فمقابل

ذلك. هذه الكووس قد ملأته لنا بالضياء وهذا  
تعسف من المؤلف كما قال المترجم الفاضل في تعليق على  
هذا الكلام، والبيت الذى استشهد به هو من قطعة تنطق  
بأن المراد بالدروع هنا دروع القتال لا القمصان فالمراد  
أن الدروع الحديدية التى تتخذ للقتال أن كان لونها موادا  
فإن ساقياتنا الحسنات واليهن الاشارة بهذه، تملأ كؤوسنا  
خمرا تكاد تشتمل ضياء ويوضح ذلك البيت الاول من القطعة  
وهو:

ولقد شربت الراح يسطع نورها

والليل قد مد الظلام رداء

ثم البيت الذى يشبه نفسية فيه بالبدر بين الكواكب على  
ما جاء فى أبيات القطعة المتوسطة بين البيت الاول وهذا  
البيت وهو قبل بيت الشاهد مباشرة:

وحكيته فى الارض بين مواكب

وكواكب جمعت سنا وسناء

فهو يتخيل نفسه كالبدر فى سواد المواكب والكواكب  
كالكواكب التى تحيط بالبدر الخ ولا قمص مرادا بها النساء  
ولا تخبط فيما هو أوضح من النهار .



وزاد فى هوميه هذا فقال والشاعر نفسه يعنى المعتمد  
يقول أيضا

قد رمت يوم نزالهم      ألا تحمئنى الدروع

ويفسر البيت بقوله «لقد رغبت بحماسة متقدمة مناولة  
الاعداء ولكن النساء حرفيا (القمص) منعنى من ذلك ولا  
من هذا التمحّل الفاضح وهو لو رجع الى مصدره الذى  
نقل منه البيت بل الى معلوماته عن قضية المعتمد الذى طالما  
قرع المرابطين بسببيه لوجد أنه لما برز لقتال مهاجميه برز  
لهم حاسرا بدون درع وفى ذلك يقول القطعة التى منها هذا  
البيت .

فى ص 145 ورد لفظ الدراعه بصورة المصدر ونظن  
أنه خطأ فى القراءة وعليه فهو لفظ الدراعة بتشديد الراء  
مع فتح الدال الوارد فى الصفحة التالية وقد اضطرب، فيها  
كلام المؤلف فجعلها من الصوف تارة ومن الكتان تارة أخرى  
وقال انها قميص فضفاض مفرط فى السعة دقيق للغاية  
كما يفهم كلامه العكس وانها مما يلبس فوق غيره من الثياب  
وفى نص نقله عن ابن خلكان يتعلق بالوزير المغربي أشعر  
كلامه بأنها لباس متواضع بعيد عن الفخفة والتظاهر، وما

نعرفه عن هذه اللبسة هي أنها جبة واسعة بدون اكمام وتكون من قماش جيد ومطرز أحيانا عند العنق. وعند فتحة اليدين بالحريز من لونها أو من لون ينسجم مع لونها وهي نفسها تكون من ألوان مختلفة وتلبس فوق الثياب الداخلية كالجلباب وأكثر ما تستعمل في تونس، وتمسك الوزير المغربي بها وعدم قبوله لما يخلع على الولاة هو في نظرنا من اعتزازه بلباسه القومي وتعوده عليه ،

في صفحة 154 كلام على ما سماه الرخاية وجمعها الرخايات وقع فيه غلط من جهة النطق :لم يبق له معنى وصوابه الريحية بصورة النسبة الى الريح وجمعها الريحيات، فهي بأخاء المهمة لا بالأخاء وهي نوع من الاحذية النسائية خفيفة جدا شبيهة بالخف ولختها سميت بالريحية، ولم يبق لها استعمال الان،

في ص 155 اشار المترجم الفاضل في تعليق له الى خطأ المؤلف في قراءة شطر بيت اللامع ابن حمديس جاء فيه (غلثلا ورسية) فظن أن الواو عاطفة وهي من بنية الكلمة (ورسية) نسبة الى الورمن وهبو نبات أصفر يصبغ به ولم يبين المعلق ذلك .

في ص 158 تكلم على الريطة وفسرها بما عند أهل

اللغة من أنها الملاعة؛ ولكنه بحث فى هذا التفسير بما جاء فى مقامات الحريرى وهو قوله: «فاذا شيخ عارى الجلدة، وقد اعتم بريطرة واستتر بنوطة» قائلا ان الريطرة لو كانت بمعنى الملاعة لما كان الشيخ عارى الجلدة ولما احتاج لستر عورته بنوطة، وفاته ان المراد هو التشويه، فالنطة التى كان حقها ان توضع على الرأس وضمت على العورة والريطة التى تستر الجسم كله جملت عمامة كبيرة تستلقت الانظار.

ص 160 تكلم على السلهام مستقلا عن البرنس وترجمه بالزلحم، ومع أنه نقل عن بعضهم ما يفيد أنه بالسسين والهام وانه يكتب سلهام فإنه لم يقلع عن تسميته زلحم .

فى ص 162 تكلم عن الزنار وقال أنه من لباس المسيحيين وهو كذلك وجاء فى كلمة اسم مردنيش فكتب بعد هالين (كذا) وهو ثائر أندلسى مشهور، ومن الغريب أن يخفى على دوزى، وفى تعليق طويل على هذه الكلمة تطرق لاطلاق الخدمة بمعنى الجندية والخديم بمعنى الجندى وقد تمحل فى ذلك كثيرا ولم يصل الى نتيجة ايجابية، وهو متأثر فى هذا المعنى الذى أراد الصاقه بلفظ الخدمة بالاستعمال الاجنبى للكلمة

ص 165 أورد كلمة السبئية وقال انها في المغرب تدل على حزام أو منطقة، وزاد في التعليق أنها تدل كذلك على المنشفة الخ... وهي في المغرب انما يراد بها المنديل الذي يقابل *Mouchoir* في الفرنسية وقد تطلق على المنديل الحريري الذي تشد به السيدات شمر هن وانظر بحثنا (عاميتنا والمعجمية) في مجلة تمودة العدد الاول من السنة الثالثة 1954.

ص 175 ذكر كلمة السليفة على انها نوع من الزينة للرأس عند نساء المغرب، وقال أن بعضهم يكتبها سفيغة وربما كان ذلك خطأ، ونظن ان هذا الخطأ هو الصواب فأننا لا نعرف السليفة باللام واما بالفاء فهي بمثابة الشريط الحريري ونحوه يزين به طرف الثوب .

ص 187 تكلم على الشربيل وهو حذاء نسوى مطرز معروف الى الان وقال انه يسمى *xerecuill* ولم يذكر تهريبه ولا ندرى ما قصد به الا ان يكون تحريف عليه من السريكسى وهو نوع من الاحذية متقن الصنع ولعله منسوب الى السركس.

ص 192 تكلم على التشمير وجمعه التشمير وقال انه يعنى

السترة او الجاكتة والصواب انه القميص الفضفاض السابغ  
ثم انه فى نطق العامة بصورة ما زعمه جمعا واما التشهير  
بسكون الشين فانه بمعنى المصدر وهو أن يشمر المرء عن  
ذراعيه أو ساقيه

ص 194 تكلم على الشملة وقال أنها بمعنى البردة وذلك  
صحيح فى الجملة ولو قال أنها بمعنى الملحفة لقارب لانها  
الثوب الذى يشتمل به ويلتحف، وبعد ذلك تطرق الى احتمال  
ان تكون بمعنى القطيفة وما يجعل فوق السرير، ونسب ذلك  
لقبيلة حاحة المغربية وهو يسميها حيحة كما ألمعنا لذلك من  
قبل ثم نقل عن مستشرق اسباني ما ظن أنه يؤيد به  
كلامه من أن ملك المغرب يجلس على قطيفة من الصوف ولم  
يقصد المستشرق المشار اليه الا سجادا أو ما نسميه نحن  
زربية اذ عبر بـ: alfombra وهى السجاد الصوفى وأخطأ فى  
كتابة هذه الكلمة فجاءت عنده هكذا. alhambra

ص 208 تكلم على المضمة وكتبها المضامة وهذا خطأ فانها  
مفعلة من الضم أى اسم آلة واحسن ما تفسر به هو قوله  
حزام يجعل الثوب الواسع يلامق الجسم، وهى لا تزال  
تستعمل الى اليوم فى المغرب للرجال والنساء مع الزى

التقليدى وتكون من الجلد والقماش المطرز ومن الذهب والفضة للنساء وكل ما طرق فيها من الاحتمالات ومن ترجيع كتابتها بالالف بعد الصاد غير صحيح .

فى ص 230 سمي ابن جبير الرحالة المشهور محمودا، وهو محمد.

فى ص 248 ترجمت كلمة العصابة بفتح العين والصاد المشددة بعزابة تبعا للكتابة المملوطة Azzaba بالحروف اللاتنية وهى فى النطق المغربى الى الان بالصاد كما ذكرنا.

ص 280 أشار فى تعليق الى أن كلمة قبع تعنى فى المغرب غطاء الرأس من البرنس وهذا ليس صحيحا فان الذى يطلق على غطاء الرأس من البرنس أو الجلباب هو لفظ قب بتشديد الباء ولا تعرف كلمة قبع بالعين فى المغرب اطلاقا بهذا المعنى.

ص 282 وهو يتكلم على القبقاب قال ولم أقع على هذا الحذاء لا فى المغرب ولا فى الاقطار الشرقية وهو قصور فان القبقاب فى المغرب معروف وكان يستعمل قبل بكثرة ولا سيما فى أيام المطر ويستعمل الى الان فى الحمامات وأثناء الوضوء وللنساء قباقيب منقوشة ومزينة بأنواع الاصباغ

ولكنها الان قلت صنعتها وكادت تختفى بن السوق.

ص 293 تكلم على القشاب ويقال انقشابة أيضا بتاء وهو كما قال قميص من الصوف بلا كمين وما ذكره بعد من الفاظ انما هي تحريفات للكلمة في الخط الاوربي، وقوله أنه يلبس بدلا من القفطان ينبغي ان نعرف أنه من ملبوس البدو هم لا يلبسون القفطان فالصواب أن يقال ويقوم عند البدو مقام القفطان عند الحضرة.

ص 314 - 315 تكلم على الكنبوش وأنه من ملبوس النساء في المغرب كالخمار.. وهذا صحيح وعلق المترجم الفاضل علي ما كتبه المؤلف يتساءل عن نتيجة البحث على الكنبوش هل هو الخمار فحسب أم هو يخنق المولود، ونقول إنه الخمار لا غير وانه خاص بالنساء الى حد ان بعض أصحاب المنظومات الوعظية يقول:

والحب للمنقوش والكنبوش يبدى عيوب المدعى المنقوش  
فعبير بالكنبوش عن المرأة وأراد بالمنقوش الدراهم  
والدنانير وجعل مقياس صلاح المرء وعدمه هو معاملته مع  
النساء والمال .

ص 320 علق المؤلف على كلمة مصوغ وما قاربها بأنها

تعنى زراكتين الذهب فى الثياب التى تستعملها النساء وهذا غير صحيح فان المصوغ المراد به الحلي من الذهب والنفضة والصياغة هى حرفة صانع الحلي، والصياغين والصاغة تطلق على سوق الحلي وان كانت جمعا للصياغ والصائغ.

وفى تمام الكلام على المادة التى ذكر فيها هذا التعليق وهى اللباس، تعرض المؤلف فى الصفحة التالية للكلام على التبان الطويل وقال إن الاعراب لا تلبسه لانه محرم بأمر الرسول (صن) ولعله يريد السراويل، وقد اختلف العلماء هل لبس الرسول السراويل أم لا، والراجح انه اشتراه كما ورد فى بعض الاحاديث ولم يلبسه، واما تحريمه فلا يعرف ولا أساس له من الصحة.

ص 324 ذكرت كلمة ايذاب اسما لمدينة، ونعتقد أنها عيذاب، اذ لم تذكر الكلمة الافرنجية المترجمة ولكن السياق يعطى ما ذكرناه.

ص 338 ذكر كلمة المنصورة وكتبها المنسرية باعتبار اللفظ الافرنجى وهى منسوبة للملك المنصور الذهبى الذى يقال إنه أول من لبسها وبذلك يعرف أنها من لباس النساء والرجال على السواء الا أن القسوية تكون من الحرير



والموسلين (الموصلى) وغيرهما من النسيج الرفيع والمذهب،  
والرجالية تكون من القماش الابيض الرفيع اساذج لا غير،  
نقف هنا مكتفين بما ذكرناه من ملاحظات متجاوزين عن  
بعض الالفاظ والعبارات التى بقى فى نفسنا منها شيء  
واكنا لم نجزم فيها برأى لكونها غير مستعملة عندنا أو  
لتمحل المؤلف فى تخريجها وان أصاب فى معناها أو لمخالفتها  
للاسلوب العربى الصحيح، فأن تتبع ذلك يطول، والفائدة منه  
قليلة وعلى كل فالمجهود الكبير الذى بذله المؤلف فى جمع  
هذه المعلومات الغزيرة عن الملابس العربية هو مما لا كفاء  
له ويضوّل بجانبه كل خطأ أو وهم وقع فيه، ومن الذى يسلم  
من الخطأ والوهم؟

وتقديرنا لعمل المؤلف لا ينسينا ان نقدر عمل المترجم  
فانه نقل هذا المعجم النفيس الى من هم أولى به وأحق أن  
يستفيدوا منه أعنى العرب الذين تكون هذه الملابس جانباً  
من تراثهم الحضارى وتاريخهم الاجتماعى وقاموسهم اللغوى،  
ومثل هذه الكتب التى يجب أن تترجم وتمطى الاولوية  
فى النقل من اللغات الاجنبية الى لغتنا الضادية لما لها من  
أهمية وارتباط بوجودنا وكياننا فى الماضى والحاضر.

# عناية السلطان مـولای سليمان العلوي بعلوم التفسير

السلطان العالم أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي الحسني الى جانب اضطلاعہ بشؤون الملك والامامة العظمى كان شديد الاهتمام بالعلم والاكباد عليه والتأليف فيه ولا سيما علم الحديث وعلم القرآن واعتناؤه بالعلماء وتقريبه نهم والمجالس التي كان يعقدها معهم للمذاكرة وقراءة الكتب العلمية المختلفة هو مما تعالٰم من سيرته واشتهر في برنامج عمله اليومي واخص ما كان يعنى به علوم البلاغة والحديث والقراءات كما يعلم ذلك من ترجمته وكم حض على تحرير مسائلها والتأليف فيها ومما هو معروف ان عدة كتب في هذه العلوم وضعت بأمره وتحقيقا لرغبته وأنه أجاز عليها بالجوائز السنية، والمكافآت العظيمة

وهذا فضلا عن كونه هو نفسه قد عنى بالكتابة في موضوعات متنوعة من مسائل العلوم المذكورة وجود فيها ما شاء وتكليفه هذه توجد في الخزائن العامة والخاصة بكثرة،

ويهمنا في هذا المقام عنايته بعلم التفسير خاصة،  
وبعض كتاباته فيه، لاسيما وهو مما لا ينبه عليه التاريخ  
ولا يشير اليه كتاب ترجمته الا تضمينا حين يؤكدون  
اشتغاله بعلوم القرآن جملة ويمينون منها علم القراءات  
بالخصوص وهو الذي الفت فيه باسمه كتب متعددة من رجال  
مختصين وبعضها مطبوع متداول فأحببنا أن نلم في هذه  
المجالة بشذرات من كتاباته وأبحاثه التفسيرية على وجه  
التعيين لندل على شمول عنايته بعلوم القرآن للتفسير الذي  
هر لبها وجهرها .

ونبرهن ضمن ذلك على غوصه وتعمقه في الفهم وبعد  
نظره وتحققه بفنون البلاغة وأسرار المربية؛ الذي جعله  
يدرك ما خفى عن بعض المفسرين ويراجعهم فيما لهم من  
انظار ولكن في دائرة المسلمات والعقائد والاصول الفقهية  
وعدم الزيغ عن الصراط المستقيم .

وأول ذلك بحث له مع العلامة البيضاوي في تفسيره الآية  
الكريمة (انا عرضنا الامانه على السموات والارض والجبال  
فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الانسان، أنه كان،  
ظلوما جهولا) فإن هذا المفسر بعد ما فرغ من عرض ما لغيره

فى الاية من أراء وهى أن المراد بالامانة الطاعة وبمرضها على من ذكر الفرض والتقدير وليس المرض بالفعل أو أن المراد بها الطاعة الطبيعية والاختيارية وبالمرض الاستدعاء طلبا للفعل من المختار وإرادة لصدوره من غيره، أو أن المرض كان حقيقة بأن خلق الله الادراك فى هذه الجمادات، والامانة على كل حال هى الطاعة... بعد ذلك أتى برأى له قاصر عبر عنه بقوله: «ولعل المراد بالامانة العقل أو التكليف وبمرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن، وببائهن الالباء الطبيعى الذى هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها» الخ...

فكتب عليه مولاى سليمان موجهها الخطاب السى أستاذة الشيخ الطيب بن كيران ما نصه:

الحمد لله، أردت أن أظهر لشيخنا عوض والدنا، جودة نظرنا ليكون ذلك عنده أفضل من حمر النعم، كما قالها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لولده لما استحيى فمنعنى من ذلك الحياء وهو إعتراض على البيضاوى فى الوجه الذى ابداه، فانه ينبو عنه الفهم السالم، ومن كان له حسن نظر فيـما يعطيه الكلام ويترتب عليه النظام، فأقول: انما يقال لعاقل مثل زيد

أردته لقبول المعالي والمزايا فلم أجده يصلح لها ولا يقال  
أردت هذه الخشبة لقبول الرياسة والخيرات فلم أجدها تصلح  
لذلك ولم يتخرج هذا الكلام الا فى معرض الذم لمن لم يكن  
أهلاً لقبول ما رشح له وما أريد معه .

«والتفات آخر: لا يصدر هذا الكلام الا ممن يزيد علمه  
باختبار الاشياء، أما الفاطر العالم قيوم السماء فلا يناسب  
نسبة هذا اليه الا فى معرض الذم ممن أراد أن يظهر  
عيوبه لخلقه، اما فى مثل الجمادات فلا .

«نحب من شيخنا ان يعطى هذا الكلام حرقه من نظره  
السديد وان لا يقرنى على خطأ، سيما وفيه تجاسر على ما  
لست له بأهل والله يعصمنا من الزلل آمين» .

ثم زاد بأثره يليه، توضيحاً لمراده قوله: «لأنك لا تقول  
عرضت فضيلة على الجبل فلم أجده فيه قابلية، وعرضتها على  
زيد فوجدته ظلوماً جهولاً، الا اذا أردت ذم الصنفين على أن  
جلالة الاخطار فى الاخطار وليس الذم بمتوجه على من حمل ما  
يبلغه، انما الظلم والجهل منصبان على الخاسر، وجنس الادمى  
والجان خير من الجماد، أعنى المومن، والجماد قابل لما حمله

من امانة وهى السجود والتسبيح والاذعان وما يؤمر به من  
خسف وزلزال ومن لم يخن من الجن والانس ممدوح له فضيلة  
تحمل الامانة وعدم الخيانة فى امانته كما فسر به الكشاف  
ودل هو ابتكر هذا الراجح وتمب عليه، لله دره، أم سبق اليه  
أفدنا» الخ ...

وقد أجابه الشيخ الطيب بما نصه :

«الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى  
آله وجنده، كأن مراد مولانا الامام المؤيد ابقى الله سعاده  
ومجاده الى الابد، مناقشة الزمخشري فى عدليه فى الاية  
عن الحقيقة الى المجاز مع أن حملها على ظاهرها ممكن وهو  
المهيح المطروق الوارد عن السلف الذين هم اعلم منا يتأويل  
كتاب الله ومحامله الحقيقية والمجازية وأدرى بأساليب كلام  
العرب وما يتبادر من تراكيبهم ومالا»

وبعد ان تعرض الشيخ الطيب لرأى الزمخشري فى الاية  
الكريمة وهو وجهان كلاهما محمولان على المجاز، وتمقبه  
بأن حملها على الحقيقة بخلق الادراك والفهم فى الجمادات  
المذكورة غير مستبعد على قدرة الله عز وجل وأنه هو الحمل  
المنقول عن السلف استطرد لذكر الرأى الذى أدلى به البيضاوى

وهو محل بحث السلطان ولكنه انما نقله بالمعرف ولم يعقب عليه بشيء، كانه لم ير فيه ما رأى السلطان تقييدا آخر نظن أنه له وأنه كتب بعد مراجعة ثانية من السلطان للشيخ الطيب، وتحليته بأوصاف رأى أنها فوق قدره كما فى طالعة هذا التقييد، يفصح عن موافقه للسلطان فى بحثه وتأييده فى مناقبته، وهو يقول فيه «ولنرجع الى المقصود فنقول ما اعترض به سيدنا على البيضاوى وأرد عليه أى ورود عند تحكيم العبارة ومنعها من الانحراف والشرود والجرى على مقتضى اللفظ افراد وتركيبا والاخذ بمعناه سياقاً وترتيباً، وبأدنى من ذلك يناقش العلماء بعضهم بعضاً، ويؤاخذ النقاد البصراء من يتساهل فى التعبير ولا يحترز عما يوهم ما لا يرضى» الخ.

والجدير بالذكر ان العلامة مولاي عبد الهادى العلوى كتب على بحث السلطان غير موافق ما لفظه: «الحمد لله تأملت ما كتبه مولانا الامير سليمان ومجاراة شيخه سيدى الطيب بن كيران فاتضح لى عدم صحة ردهما على الزمخشري والبيضاوى» ولم يبين رأيه وانما أحال على تفسير العلامة أبى السمود .

ومن هنا قلت ان التقييد الثانى ربما كان الشيخ الطيب  
أيضا لانه هو الذى فيه موافقة السلطان ومجاراته، فضلا عن  
كون المصدر الذى انقل عنه، هو مجموع من محتويات  
خزانة الكنوزية أكثر من مؤلفات الشيخ الطيب

وآية أخرى للسلطان مولاي سليمان فيها بحث ادلى به  
لشيخه وعلماء مجلسه فوافقوه عليه، وهى قوله تعالى «ولو  
نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون» ففى تقييد أظنه  
للشيخ الطيب أيضا أن المفسرين والنحويين ذكروا فى معنى  
(من) هنا وجهين أحدهما البدل أى ولو نشاء لجعلنا بديلكم  
ملائكة كقوله: (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) والثانى  
الابتداء أى ولو نشاء لجعلنا ملائكة ناشئين منكم ولم نجعلهم  
خلقا مخترعا بلا أبوين والخطاب على الوجهين للبشر عموما.

ثم قال التقييد: «وظهر لسيدنا السلطان المؤيد، والعالم  
البحرير الا وحده مولانا سليمان بن مولانا محمد، وجه  
ثالث كتبه بخطه الشريف وتلقيناه منه بالمشافهة وهو أن تكون  
(من) للبدل ولكن الخطاب خاص بالرسل كأنه قيل. ولو  
نشاء لجعلنا بديلكم ايها الرسل ملائكة يخلفونكم فى دعوة  
البشر الى الله وتلقينهم عنه شرائعه واحكامه كما اقترحه  
الكفار غير مرة، فقال قوم نوح «ولو شاء الله لا نزل



ملائكة» وقال كفار قريش «لولا نزل اليه ملك فيكون معه نذيرا» الخ ... وقد وجه التقييد هذا الراى وأيده، واورد ما يأتى عليه من الاعتراض وأبطله وردة وجعله من الفهم الذى أوتيه رجل معلم كما ورد فى الحديث، ومما ينشد فيه: كم تترك الاول للاخر. لان المفسرين لم يهتدوا الى طريق هذا البحث فى الاية، واقتصروا فقط على الوجهين السابقين ثم ختم الكلام فيه بقول ابن مالك المشهور فى خطبة تسهيله «واذا كانت العلوم منحا ألهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين».

وكتاية ثالثة له قدس الله روحه على آية (وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه، ما لهم به من علم، الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعة الله اليه) الاية - وهى آية جديرة بالتأمل وتثير تساؤلات عديدة وعليها مبنى عقيدة النصارى فلننظر كيف حرر السلطان مولاي سليمان مبحث تفسيرها بسياق ما كتبه عليها ونصه مستخرجا من شرح شيخه عليه .

الله اعلم بمراده تعالى ربنا - (وان الذين اختلفوا فيه)

أى فى عيسى من بنى اسرائيل اليهود الذين كذبوه،  
والنصارى الذين صدقوه ورفقهم فى زمان محمد صلى الله عليه  
وسلام (لفى شك منه) أى لفى شك من امر عيسى ولم يحق  
أحد من المختلفين فيه ما هو الحق المطابق للواقع فكيف  
يحتاجونك بما لا يملكون صحتة، الا فرقة واحدة وهى المعتقد  
للحق الصادقة من فرق النصارى ولهذا لم يختلف قولها مع قول  
محمد والقرآن فلم تقصد بالذكر وليست فى شك

والحق ما أنزل اليك وهوما تعتقده الفرقة الناجية التى  
بقيت على الحق ومن تبعها حتى أتى محمد بالحق  
والنور: انهم (ما قتلوه يقينا) أى من ظن ذلك (بل رفعه  
الله اليه) وذلك ما أشير اليه فى الاية من اختلافهم وشكهم  
أى بيانه ان فرق النصارى اختلفت فى نفسها ومع اليهود فقالت  
هو كاذب وقد قتلناه وصلبناه ولكن شككهم فى ذلك أنهم لم  
يجدوا صاحبهم المنافق الذى ألقى شبهه عليه أو المسلم الذى  
فقدوه من العدد على القول بأن شبهه القسى على مسلم من  
أصحابه لانهم علموا بالعدد الذى فى البيت الذى كان فيه  
عيسى، فلذلك قالوا ان قتلنا المسيح عيسى فأين صاحبنا وان  
قتلنا صاحبنا فأين عيسى، أو قالوا البدن بدن صاحبنا والوجه

وجه عيسى فلذلك كانوا فى شك من فعلهم .

واما النصارى المارقون من الحق فعالت فرقة هو الله والاله لا يقتل وقالت فرقة هو اله ثالث، وهى التى تقول بالتثليث، وقد وجدهم قسطنطين الملك على فرق تزيد على الثلاثين وكلها ضلال الا القليل المعتقدين ما فى القرآن الذين بقوا على الحق حتى آتى محمد صلى الله عليه وسلم ففروا منه بدينهم . وقد جثمهم قسطنطين المذكور على ما هم عليه الان، وسماها الامانة الكبرى وهى فى الحقيقة الخيانة الكبرى .

هذا تفسير رحمه الله ورضى عنه للآية، ويظهر عند تأمله ما فيه من تحقيق للنظر وتنزيل على الواقع واستدلال بتاريخ النصرانية نفسها، مما يجعلنا نكبر همة هذا السلطان الذى لم تشغله مهام الملك وتدبير شؤون الرعية عن المشاركة مع أعيان علماء عصره فى خدمة القرآن وعلومه بهذا الجهد الكبير والنفس العالى ،

وقد أتبع شيخه هذا التقييد بشرح واف أبرز فيه نكتة ومضامينه واستشهد عليها بالنصوص والنقول المؤيدة من قواعد الاصول والمنطق والبلاغة وأقوال أئمة التفسير

والمحدثين فأتى فى ذلك بالمعجب المعجاب

ومرة أخرى نظن ان شيخه هذا هو العلامة الطيب بن  
كيران لان نفسه ظاهر فى كتابه، وان لم يسم نفسه ولم  
يسمه كاتب الشرح وهو أحد العلماء الاثبات.

ومن هنا نظن ايضا أن التفسير الذى كتبه الشيخ اطيع  
ابن كيران والذى يبدأ من سورة النساء ويقف فى سورة  
غافر، لا يبعد بل يترجح أن يكون بأمر من مولاي سليمان  
ونتيجة لهذه المداولات اتى كانت تجرى بينهما فى معانى  
الايات الكريمة ومراميها والتعليق على ما نجاه المفسرون  
السابقون فى ذلك.

رحم الله السلطان المالم مولاي سليمان الذى كان مفخرة  
للسلاطين وعزا للعلماء .

## نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان

يحظى مؤرخ الاندلس ابو مروان بن حيان القرطبي (377 - 469) بتقدير كبير من المؤرخين وعموم الكتاب ببلده، يعتمدونه في الاخبار، وينقلون عنه تراجم الرجال، ويمجبون بأدبه واسلوبه البليغ، حتى قال فيه تلميذه ابو على الفسياني وهو من هو علما ودينا: «كان عالى السن، قوى المعرفة، مستبحرا في الاداب، وبارعا فيها، صاحب لواء التاريخ بالاندلس أفصح الناس فيه، واحسنهم نظما (أى تأليفا) له» ونوه به ابن حزم في رسالته في فضل الاندلس وهو بعد حي في طور الاكتهال كما قال، وكذلك نوه به الشقندي في رسالته المعروفة، ولا يستغرب من أهل الاندلس ان يحيطوا نابغة من نبغائهم بهذه الهالة من التقدير، وهم الذين عرفوا بفرط الاعتزاز ببلدهم، والاعتداد برجالاتهم الى حد التعصب على انه في الواقع شخصية فذة لا جدال في قيمة ما قدمه الينا من مادة تاريخية دسمة، تتوزع ماضى الاندلس من لدن الفتح العربى الى زمنه، وحاضرها المعاصر له، في كتابه المقتبس والميتين، بمجلداتهما العديدة التى لم يصلنا منها الا أقل

وبالاطلاع على ما أمكن من هذه المادة، نجد انه حقا اديب متمكن واسع المعرفة جزل العبارة قوى الاسلوب، بحيث يعد من بلفاء كتّاب عصره الا ما خالفهم فيه، وهو أنه سلم من آفة السجع الذى كان قد أصبح حلية الكتاب وعلامة البراعة، وهذه المكانة الادبية هى التى جعلته متميزا بين المؤرخين بصفاء ديباجته وعلو لفته، لان طبع اديب فيه يغلب على طبع المؤرخ، حتى أنه يقع فى كلامه بعض الالفاظ الغريبة أحيانا، ومع ذلك فهو فى التاريخ نسيج وحده، فى عصره وبلده، استوعب تواريخ من سبقه لعهد الولاة وخلافة قرطبة الى حين سقوطها، وسجل ما شهدته من أحداث التاريخ الكبرى كآخبار الدولة العامية والفتنة البربرية وقيام ملوك الطوائف، وغير ذلك بدقة متناهية واستقصاء كامل، مما جعله المرجع الوحيد فى هذه الفترة الخطيرة من تاريخ الاندلس الذى لا غنى عنه لكاتب أو باحث.

وبالجملة فهو من كبار المؤرخين الذين ظهوروا فى مغرب الوطن العربى، وان لم يكتب تاريخا عاما يشمل البلاد العربية والاسلامية كما فعل ابن جرير الطبرى وابن الاثير

وابن كثير وابو الفدا وابن خلدون وغيرهم من ائمة التاريخ العلم، لكنه وقد قصر تاريخه على بلاده الاندلس، سد فراغا لولاه لم يسد، وعمل فى دائرته الخاصة عملا متقنا فلاحق بركب المؤرخين المجيدين والمؤلفين المتميزين فى هذا الشأن ويبالغ بعض الكتاب فى شأنه فيجعلونه اعظم مؤرخ ظهر فى الاندلس، وربما فى المغرب العربى كله، متأثرين بمقالات الاندلسيين فى تزكية بعضهم لبعض، ونحن لم نره تفرد بشىء ليس عند غيره من اعلام التاريخ المذكورين واذا كان كتاباه المشهوران المقتبس والمتين لم يصلا الينا كاملين وانما وصلنا منهما أجزاء صغيرة. فان زبدهما قد استخلصها من أتى بعده من المؤرخين الذين وقفوا عليهما وما هى ببذع فى مدونات التاريخ.

نعم تفرد ابن حيان عن جمهرة المؤرخين العرب بشىء، لا يحمد عليه، ولا يعد من المميزات الحسنة، بل هو نقطة ضعف فى تاريخه، تجعل القارئ لا يطمئن الى كل ما يدويه او يخبر به. ونفنى بذلك الذم والظعن والتشنيع على الناس، مما ضج منه غير واحد من العلماء والمؤرخين الذين نقلوا عنه

واستفادوا منه، فكانوا يستخلصون المعلومات والافادات التي تهمهم في الموضوع ويعرضون عن لمزاته وغمزاته ونيته من الاعراض والاشخاص الذين يترجم لهم. وابن بشكوال في كتابه الصلة اول من يفعل ذلك ولما ترجم لصاحبنا ابن حيان اثنى عليه الثناء الجميل، و اشار الى ما ينتقد عليه من ذلك في صورة ابراء على عادة العلماء، اذ حكى عن الفقيه الصالح ابي عبد الله بن عون انه رآه في النوم بعد وفاته، فسأله ما فعل الله به فقال غفر لي قل فقلت له فانتاريخ الذي صنعت ندمت عليه؟ فقال: اما والله لقد ندمت عليه الا أن الله عز وجل بلطفه عفى عني وغفر لي. فهذه الحكاية صحت أم لا، في سياقها الجميل اعتذار لطيف كان هو الاعلان من ابن بشكوال رحمه الله عن عدم موافقته على صنيع ابن حيان في نث عيوب الناس ولو كانت واقعا ثابتا، فانه لم يقدر في صدقه ولكنه استنكر التشهير بعباد الله فيما أمرنا بستره وعدم البحث عنه، لاسيما مع عدم المقتضى لذلك واستكمال فائدة الخبر بالسكوت عنه، فانه حينئذ يصبح هجاء، وهل يكون المؤرخ هجاء (يكسر الهاء في الاول وفتحها مع تشديد الميم في الثاني) .



وانى أخشى ان يكون طبع الاديب بالمفهوم القديم قد  
غلب على ابن حيان فساقه الى قرن المديح بالهجاء اذ كان  
الامران لا ينفكان فى نظر أهل الادب، فموضوع المدح يتبعه  
موضوع الهجاء، وخاصة عند الشعراء، وابن حيان وان لم  
يكن شاعرا فهو قد تأثر بأساليب الشعراء واغراضهم فيما  
يظهر، واعتبر الهجاء فنا من فنون القول، وغرضا من  
اغراض الكتابة،

وقد كان ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة اصرح من ابن  
بشكوال فى اذانة ابن حيان، حين سقى قعله هذا بالهجاء ولم  
يجمع فى ذلك فقال وهو ينتقى مقاطع من نثره: «وهذه قصور  
مقتضية من طویل كلامه فى تاريخه وكنيت عن أكثر من به  
صرح، وأعجبت باسم من به أعرب وأفصح رغبة بكتابتى عن  
الشين، وبنفسى عن أن أكون احد الهاجيين» وتمثل فيه  
بقول ابن الرومى:

مهملة تقل فسهام منك مرسلـة

وفوك قوسيك والاعراض اغراض

وما تكلمت الا قلت فاحشة

كان فكيك للاغراض مقراض

وهذا احد الفصول التى ذكرها ابن بسام من انشاء  
صاحبنا وابهم المعنى به: «نعى الينا فلان، وكان فى غفلته  
وبعد فطنته وغبارة شاهده وفجاجة شمائله وشكاسة خلائقه  
آية من آيات خالقه، من رجل نسمة ريب، وقرارة حرب، على  
لسانه نملة تدب على اعراض الناس لا يرعى لاحد ذمة،  
فصار مشنواً اليهم ومرهقا فى دينه محروما لم ترتفع له قط  
حال، ولا فارقه اقلاق ولا آتيج مرفق الا من حيث يرتشى  
لتلقين خصم أو توهين عقد و دفع حيق بمشاغبة أو بهت  
خصم بمعاندة، له فى ذلك نواذر محفوظة، وكان مع هذه  
المساوى وسخ الشياب زمن المروعة، مكحل الاظفور، وضر  
الطوق داني الغائط من المائسدة، لا يتقذر شيئا البتة وهو  
اول من لاعن زوجه بالانداس قارى الناس العمل فى اللعان  
بالميان

والمعنى بهذا الكلام البذى هو الفقيه ابن الهندي  
المشهور من اعلام القطر الاندلسي، فانه الذى لاعن زوجته  
كما يذكر الفقهاء فى باب اللعان بحكم صاحب الشرطة،  
وعوتب فى ذلك فقال اردت احياء سنة اميتت حكاة عنه ابن  
عات وتعقبه البرزلى بقوله: «قد اغنى الله تعالى عنه بما

جاء في كتابه، يعنى من الطلاق والستر أولى ولكن فات  
البرزلى ان اللعان قد يكون لنفى نسب فيجب ثم هو مما يدرأ  
الحد عن الزوجة والقذف عن الزوج، فلم يشرع عبثا بل  
لحفظ كرامة الزوجين معا، وعليه فتشريع ابن حيان على ابن  
الهندي به هو من التعت ان لم يكن من الاعتراض على  
الشريعة.

ثم لننظر كيف يأكل لحم هذا الفقيه الكبير بعد موته،  
وكيف يعيبه بما وقع فيه هو من ثلب الاعراض، الى غير  
ذلك من السب القذر وكان ذلك مما نهى عنه شرعا، فقد  
جاء في الحديث: سباب المومن فسوق.

وهذا انما هو نموذج واحد من عدة فصول أثبتها ابن بسام  
في منتقى كلامه وآبهم المعنيين بها ولكن الباحث المعروف  
الدكتور محمود علي مكى توصل الى معرفة البعض منهم  
وسماهم، فيما كتبه على القطعة التى نشرها من المقتبس،  
وهم ابن الحصار وابن منيث وابن المكوى وابن ذكوان وابن  
زرب، وهؤلاء كلهم من أعيان الفقهاء ورجال الفتوى والقضاء  
المعمول بأقوالهم وأحكامهم فى المذهب المالكي فيا لجرأة هذا  
الرجل على الحرمات وخاصة أهل العلم والدين.

والدكتور مكى على علمه وتحقيقه هو ممن يشايح ابن  
حيان وينتصر له حتى أنه وصف تعرج ابن بشكوال من نقل  
مطاعن ابن حيان فى أهل عصره وما حكاه من رؤيا ابن عون  
له فى المنام، بالتدين الساذج، فالتدين الحكيم اذن هو  
سلوك ابن حيان !..

ويذكرنى هذا الكلام بقول أمين الريحانى وهو يسخر  
بلحى رهبان لبنان فى صورة دفاع عنهم: «جمله الله دفـاـما  
مقبولا لديهم فيدافعون عنى يوم القيامة كما قال ابن خلدون  
متمنيا فى دفاعه عن حسب الادارسة ونسبهم (I).. فمللوضوع  
بحاله لان ابن خلدون مقعد التاريخ وواضع علم الاجتماع  
تعرض فى مقدمته لتفنيد بعض مزاعم المؤرخين ومنها الطعن  
فى نسب الادارسة بما تقوله خصومهم من أمثال البكرى  
والمراونية الاندلسيين فضلا عن العباسيين البغداديين على  
ادريس بن ادريس من نسبته لراشد مولى أبيه ضيقا بدرلتهم  
العلوية التى أنشأوها فى المغرب وتحطيمها لها، فتصدى لهم  
بالانكار والتنديد، غيرة على آل البيت وانتصارا لهم، وقال

---

(I) أمين الريحانى (المغرب الاقصى) رحلة فى منطقة الحماية الاسبانية  
ص 255.

فى آخر كلامه: انما اطنبت فى هذا الرد مدا لابواب الريب،  
ودفعا فى صدر الحاسد لما سمعته أذنائى من قائله المعتدى  
القادح فى نسبهم بفريتته، وينقله بزعمه عن بعض مؤرخى  
المغرب، ممن انحرف عن أهل البيت، وارتاب فى الايمان  
بسلفهم، والا فالملح منزّه عن ذلك معصوم منه، ونفى العيب  
حيث يستحيل العيب، عيب لكنى جادلت عنهم فى الحياة  
الدنيا وأرجو أن يجادلوا غنى يوم القيامة.

وليس قصدنا ان نـدل على ما فى كلام الريحانى من  
الاستهزاء بقضايا الدين ورجاله، ولكننا نريد ان ننبه الى  
روح الحفاظ التى تقمصها فيلسوف المؤرخين ، ولقنها  
لاصحاب المهنة فى هذه الفدكة وأمثالها مما ضمنه فى مقدمته  
الخالدة، اشعارا بأن التاريخ ليس قصيدة هجاء او مقالة  
تشهير بخم ولكنه اعلام نزيه وانباء صادق وقول حق، وذمة  
وضمير ومسؤولية ..!

وقد وضع اين خلدون قواعد هذا العلم وقرر أصوله،  
ولكنه لم يطبقها على احداث التاريخ التى حكاها فى كتابه  
الكبير، اكتفاء بما أعطاه من أمثلة تطبيقية فى المقدمة، لانه  
لو تتبع ذلك لما انتهى الى غاية ولوقع فى حرج كبير، هذا

مع العلم بأنه لم يكن ليفوته مثل هرام صاحبنا ابن حيان ،  
ولكنه اعرض عنه اعراض الكرام يقينا بكونه ليس من  
التاريخ فى شيء .

وتعامل المؤرخين او تعيزهم باعتبار العامل السياسى  
وركونهم الى حكام عصرهم هما من القواسم المشتركة بينهم  
جميعا قدماء ومحدثين وما ابن حيان الا واحد منهم، فتوليه  
لخلفاء قرطبة وبنى جهور من ملوك الطوائف هو مما تطفح  
به صفحات تاريخه، ولكن هذا ليس مما يعنينا الان، فنحن  
انما نتكلم على هذه الانتقادات الاعتباطية والنزوات الشخصية  
التي تفرض على التاريخ وتسد بين ثناياه، ومن منا لا  
ينكرها وقد أنكرها ابن حيان نفسه فى كلامه عن أحد  
الشعراء «الذى أرسل آفة على أهل بيت لامر أودى به من  
بعضهم، فعمم بهجائه وافحش لهم» (I) على ان هذا من شأن  
الشعراء، وليس من شأن المؤرخين .

ولنستمع الى كلمة قيمة فى هذا الصدد من كتاب سعيد النعم  
ومبيد النعم لتاج الدين السبكي قال وهو يتحدث عن طوائف

---

(I) انظر ص 176 من المقتبس تحقيق د، مكى، نشر المجلس الاعلى  
للشؤون الاسلامية القاهرة،

العلماء: «ومنهم المؤرخون. وهم على شفا جرف هار، لانهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نقلوا مجرد ما يبلنهم من كاذب أو صادق، فلا بد ان يكون المؤرخ عالما حافظا عدلا عارفا بحال من يترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له، ولا من العداوة ما يحمله على الغش منه، وربما كان الباعث له على النيل منه مخالفته له في العقيدة أو المذهب... وكثيرا ما يتفق هذا لشيخنا الذهبي في حق الاشاعرة، والذهبي استاذنا والحق أحق ان يتبع وقد عقد ابن عبد البر بابا في أن كلام العلماء بعضهم في بعض لا يقبل، وان كان كل منهم بمفرده ثقة حجة:

ومنهم من تأخذه في الفروع الحمية لبعض المذاهب ويركب العصب والذلول في المصيبة، وهذا من سوء أخلاقهم ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض، ولو كان الشافعي وأبو حنيفة حيين لشددا النكير على هذه الطائفة» انتهى باختصار

وبالاشارة الى ما ذكره من تعصب الفقهاء وازراء بعضهم على بعض، نذكر هنا ابن حزم عسرى ابن حيان، فانه في هذا الباب قد جاوز كل الحدود في الطعن على الائمة

والاستخفاف بهم، اعتداداً بمذهبه، واعتقاداً منه بأنه هو الصواب الذى لا يرقى اليه خطأ حتى شبه بعض العلماء سلاطة لسانه بسيف الحجاج.

ولعله ما اثنى على صاحبنا ابن حيان الا لتوافقه واياه فى هذا الامر:

ونذكر من الادباء الفتح بن خاقان وما كتبه عن أبى بد ابن باجة فى قلائد المقيان من السخافات حتى أنه طعن فى دينه، وهو المبقرى النافذ البصر فى فنون العلم والادب، والذى يعد مفخرة من مفاخر الاندلس برغم كل ما قاله فيه صاحب القلائد.

ومن المؤسف ان تتجلى هذه الظاهرة فى فئة من أهل العلم والادب وهى ظاهرة مرضية نفسية لا تشرف، صاحبها بحال، ولكن الذى يبعث على الارتيلح هو ان احدا لا يبالي بها ولا يحملها الا على محلها الكريه من الغرض والانانية واختلال المزاج، ومن ثم حكم الفقهاء بعدم جواز شهادة العلماء بعضهم فى بعض لما يكتنفها من الشبهة وسوء القصد الا من رحم ربك، وبالله التوفيق.



## سابق البربري من جديد

- ١ -

في البحث الذي كتبته عن هذا الشاعر الخالد، موزعا على ثلاث مقالات، في فترات متباعدة لم أفتأ أؤمل اني ربما عدت اليه في كل مقالة منها وما أناذا أعود اليه فعلا، بعد مرور فترة طويلة ، على المقالة الثالثة، لا قول شيئا جديدا عنه وان قل، فان ذلك البحث انما تكون من مثل هذه النتف التي لم أزل أتصيدها من مختلف الكتب المظان وغيرها سنين عديدة.

فقد نشر في العراق أخيرا كتاب حماسة الظراف لابي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني بتحقيق محمد جبار المعيب، وهو يحتوى على بعض شعر سابق مما ذكرته في بحثي المشار اليه، والذي اعتمده المحقق الفاضل، وزاد ببعض أبيات منها بيتان يندرجان في قصيدته الرائية المذكورة في المقالة الاولى، وهما .

وربما جاءني ما لا أؤمله      وربما فات مأمول ومنتظر  
من عاش أدرك في الاعداء بغيته      ومن يمت فله الايام تنتصر  
ومنها بيت مفرد من قطعة نسبها المؤلف الى صالح بن جناح وهو  
البيت الثاني الذي ذكر المحقق أنه منسوب لسابق في كتاب

غريب الحديث ونص القطعة كاملة:

إذا الواشى لديك بغى صديقا

فلا تدع الصدق يسقول واش

فلا تمذل بسرک، کل سر

إذا ما جاوز الاثنين فاش

ولا تصحب قرين السوء وانظر

لنفسك من تقارن او تماشى

ومن يرفع عليك الدهر يرفع

ومن يخفض فليس بذى انتعاش

هذا وممن ذكر شاعرنا أبو حيان التوحيدي فى كتابه

الامتاع والموانسة، الجزء الثالث، حين قال: (واعترض حديث

العلم فأشدد ابن عبيد الكاتب لسابق البربرى قوله:

العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه

كما يجلى سواد الظلمة القمر

ولكن وصف البربرى تصحف فى الطبع بالزبيدي،

والكتاب كما هو ثابت فى صفحته الاولى مطبوع بتصحيح

الاستاذين أحمد أمين وأحمد الزين وتحقيقهما، وذلك مما يدل

على الجهالة الفاشية بهذا الشاعر الكبير: والبيت المذكور هو

من القصيدة الرائية المشار اليها آنفا.

وذكرنا فى المقالة الثانية بيتين من قصيدة لامية طويلة له  
على اختلاف فى بعض الفاظها عما فى القصيدة، كان سفيان  
الثورى يتمثل بهما، كما فى جامع بيان العلم لابن عبد البر  
وأغفلنا ذكر كون الحسن البصرى كذلك كان يتمثل بهما على  
ما جاء فى رواية أخرى لابن ع البر، وثم نيت اخر كان  
يتمثل به الحسن من هذه القصيدة لم يرد فيها، وانما ذكره  
ابن عبد البر وهو قوله

يسر الفتى ما كان قدم من تقى

اذا عرف الداء الذى هو قاتله

ولم نثبته فى البحث.

ونسيت أن ابنه فى المقالة الثالثة على أن البيت انذى  
ابنشه ابن عبد البر فى كتاب الجامع وأوله: والعلم يشفى،  
والاخر وأوله: موت التقى حياة، ربما كانا هما والايبات  
الستة التى وردت فى المقالة الاولى، من قصيدة واحدة، لانها  
كلها من بحر واحد وهو البسيط وقافية واحدة، وهى الهمزة  
المضمومة .

ولا يفوتنى ان أشير الى البيت الرجز: قد قيل قبلى فى

الزمان الاقدم:: وما يحتمل ان يكون من علاقة بينه وبين  
الرجزية التى أنشدها ابن عبد البر فى أدب التعليم والتفقه  
وهى مما ينسب الى المامون :: وفى نفسى من هذه النسبة شىء  
وقد جعل لها الشيخ مرتضى الحسينى صدرا وذيلًا كما  
بفهرسته، والسؤال القائم المحتمل هو ألا تكون هذه الرجزية  
من نظم سابق؟

ثم نلاحظ انه بعد نشر بحثنا عن سابق فى مقالات ثلاث  
بأعداد متفرقة من مجلة دعوة الحق، ثم نشره مجموعا بمجلة  
المجمع العلمى العربى بدمشق وصدر عنه فى شكل كتيب وقع  
الالتفات الى هذا الشاعر والعناية به، والكتابة عنه وذكره  
فى تاريخ الادب المغربى كما فعل الاساتذة مؤلفو (تاريخ  
الادب والنصوص) الادبية للسنة الدراسية الثانوية، وفقا  
للمنهج الحديث الذى أقرته وزارة التربية الوطنية المغربية،  
والدكتور عباس الجرارى فى كتابه الجديد (الادب المغربى  
من خلال ظواهره وقضايا)، والاولون عدوه مغربيا أقصويا  
خالما وذكروه على أنه اول شاعر نبغ فى المغرب على عهد  
الولاة أى قبل العهد الادريسى وهو من حيث التاريخ كذلك  
ولكن من حيث المغربية الاقصوية نحن لم نجزم بشىء فى ذلك.

والثانى ذكر اننا بعدما قلنا انه ربما كان اول شاعر مغربى يعنى بالمعنى الخاص، عدنا الى القول باننا لم نتحقق بعد من مغربيته الضيقة، وليس فى كلامنا شيء من الزعم المذكور فانا من أول الامر، لم ننسبه الا الى المغرب الكبير ولم يتحقق عندنا البلد الذى ينتمى اليه من هذا المغرب لا أولا ولا أخيرا، ولعل ما كتب برأس أولى المقالات عنه فى دعوة الحق وهو هذه العبارة: (دراسيات فى تاريخ الادب المغربى)، هو ما أوهم الكاتبين ان سابقا مغربى أقصوى واننا قلنا بذلك ثم رجعنا عنه، والمسؤولية فى هذا تقع على محرر المجلة، فهو الذى كتب العبارة المذكورة، وكثيرا ما يتدخل محررو الصحف فى مقالات الكتاب بما لا يكون من غرض الكاتب وربما عاكس قصده، وقد وقع لنا معهم كثير من ذلك، وهذا منه

ونخلص من هذا المقال الصغير بزيادة أربعة أبيات على ما أحصيناه فى البحث من شعر سابق، وهو 160 بيت فيصير الحاصل الآن 173 بيت والبقية تأتى ان شاء الله

— 2 —

نشرنا منذ أيام كلمة عن هذا الشاعر الكبير. وطننا بها ما سبق لنا من بحث عنه وعن شعره فى مقالات جمعت فى

كتيب .بمناية المجمع العلمى العربى بدمشق، واستدركنا فيها بعض المعلومات التى وقفنا عليها من بعد، وبعض الابيات الشعرية التى لم تثبت فى ذلك البحث، وقلنا فى آخرها لعلنا نعود اليه فى فرصة اخرى حين يجد عندنا ما يحملنا على هذه العودة

ولم يطل بنا المعهد لتحقيق هذا الرجاء، فقد نشر فى العراق كتاب الزاهر لابی بكر القاسم بن محمد الانبارى المتوفى سنة 328 بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن فى مجلدين كبيرين وهو فى معانى الكلمات التى يستعملها الناس ويعنى بذلك اللغة والامثال، واشتمل هذا الكتاب على ذكر سابق مرتين فى مجلديه الاول والثانى ورواية بيتين من الشعر له زائدين على ما ذكرناه له فيما كتبنا عنه ذلك أن المحقق أورد بحثنا المشار اليه فى مصادر تحقيقه لكتاب الزاهر وأعتبر هذين البيتين مما خلا منهما، كما خلا الزاهر من كل ما نشرناه لسابق من الاشعار

والبيت الاول يقع عند ابن الانبارى أثناء كلامه على قولهم فلان سفيه بمعنى قليل العلم وثوب سفيه أى خفيف رقيق، وانشد على ذلك بيتا لذى الرمة، ثم قال:

«وقال سابق:

سبقت يداك له بماجل طعنة

سفهت لمنفذها أصول جوانح

ويروى للصلتان ولزياد الاعجم، اراد اسرع الدم منها  
وبادر وخف، ولاشك ان هذا البيت من قصيدة طويلة وان يكن  
متنازعا عليه بين سابق وشاعرين اخرين

أما البيت الثانى فعزاه الى سابق محقق الكتاب فى  
تعليقه عليه، وابن الانبارى لم ينسبه وانما قال فيه:

وقال الاخر

يا نفس ان سبيل الرشيد واضحة

منيرة كبياض الفجر غراء

وجاء فى التعليق عليه «سابق البربرى فى المذكر  
والمؤنث لابن الانبارى 230 وليس فى شعره، يعنى شعره  
الذى جمعناه له فى بحثنا، وقد أورد الزاهر هذا الشاهد فى  
قولهم : قتل فى سبيل الله .

على كل ان كتابا يقع فى أكثر من 1300 صفحة لا يرد اسم  
سابق فيه الا مرتين اثنتين لدليل على ندرة أخبار هذا الشاعر  
كما يدل على انه من الذين يستشهد بشعرهم فى مسائل

العربية لغة ونحوها، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك فى كتابتنا السابقة عنه، والبيت الاول المتنازع فيه لا يشبه عامة شعره بخلاف الثانى فإنه من مشربه الخاص، وبذلك فأنا نضيف هذا الى عدد الابيات التى نسبناها له باطمئنان ونتحفظ فى ذلك، والى فرصة أخرى بحول الله.

— 3 —

قلنا فى اخر مقالة كتبناها عن سابق البربرى بعد نشر شعره مجموعا فى كتيب صغير يتكون من المقالات الاولى التى نشرت بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق، وتفضل المجمع باخراجها فى الكتيب المشار اليه. معبرين عن املنا فى العثور على شىء جديد له: والى فرصة أخرى بحول الله .

وها هى الفرصة قد أمكنتنا من ذلك، وكنا فى تلك المقالة ومقالة اخرى قبلها استدركنا من شعر سابق خمسة أبيات أو ستة اذا لم نعتبر الشك الذى طرqnاه فى أحد هذه الابيات، والان نستدرك بيتا سابعا وقفنا عليه فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابی بكر الانبارى كذلك الصادر عن دار المعارف فى سلسلة ذخائر العرب بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون، وهو هذا

فلم ينج منهم فى البحور ملجج

ولم ينج من جاب الصخور اجتياها



أورده فى الاستشهاد على معنى جاب الصخر أى شقه  
وبنى فيه كما فى الآية الكريمة (الذين جابوا الصخر بالواد)  
ويلوح عليه أنه من شعر سابق

وقرأت فى مجلة المستمع العربى (العدد 392) للاديب  
حسن الكرمى بمقاله المعنون: «قول على قول، هذا البيت  
منسوبا لسابق:

ان عبت يوما على قوم بعائية

أما أتوه فلا تصنع كما صنعوا

ولم ينسبه الى أى مصدر ولكن الكاتب مطلع يصح الوثوق

به .

ورجعت لكتاب بنوغ الارب فى معرفة أحوال العرب  
تأليف السيد محمود شكرى الالوسى، وكنت قرأته قديما،  
وقد وقع فى وهلى انه ذكر سابقا، وبالفعل وجدت اسم  
سابق فى تعليق على الابيات المعروفة ابدأ بنفسك فانها  
عن غيرها نسبها المؤلف للمتوكل اللبثى، وهى مما نسب  
لعدة شعراء منهم شاعرنا، وكان ذلك موجب ذكره من قبل  
المعلق صديقنا العلامة محمد بهجة الاثرى.

ثم انه ذكره أيضا فى الكلام على أما بعد وموضعها من

الكلام، واستشهد بمطلع قصيدة سابق الرائية المذكورة في  
الكتيب، وهو الذى يقول فيه

بسم الذى انزلت من عنده السور

الحمد لله، أما بعد يا عمر

وأعقبه بالبيت الذى بعده

وأنشد له اليوسى فى كتابه زهر الاكم سدا البيت فى  
كتمان السر :

فلا تخبر بسرك ، أى سر

إذا ما جاوز الاثنين جاشا

وقيل الاثنان هنا الشفتان، وهو تفسير حسن وهذا أحد  
الابيات الاربعة التى ذكرناها فى المقالة الاولى بعد مقالات  
الكتيب، نقلا عن كتاب حماسة الظراف للزوزنى، وهى فى  
هذا الكتاب منسوبة لغير سابق، ولكن المحقق الفاضل لهذا  
الكتاب قال ان البيت الثانى منها هو لسابق كما نسب اليه  
فى كتاب غريب الحديث، وما هو اليوسى ينسبه اليه أيضا،  
وان كان فى بعض لفظه مخالفة لما فى كتابى الحماسة والغريب.  
وأمر، آخر، وهو أن قافيته فى الابيات المشار اليها وفى  
كتاب الغريب مكسورة، وفى زهر الاكم مفتوحة، وجاءت

بلفظ جاشا وهى فى المصدرين الاولين فاش، وذلك هو الانسب  
من جهة المعنى واللفظ، فهل ما عند اليوسى تصحيف؟..

الخلاصة ان هذين البيتين جديدان يضافان الى الحصلة  
السابقة فيصير جملة ما بيدنا من شعره 176 بيت او بيتا،  
والبقية تاتى ان شاء الله ،

— 4 —

بعد الكتيب الذى ضمنته ما تحصلت عليه من ترجمة هذا  
هذا الشاعر المفربى الرائد وشعره وصدر عن مجمع اللغة  
العربية بدمشق منذ أكثر من 15 سنة، لم أزل أتتبع ما يقع  
لدى من أخباره وأقف عليه من شعره في مطالعتي وقراءتي كما  
فعلت في مادة الكتيب المذكور خلال سنوات عديدة لتفرق  
أخبار ما بق وضياع شعره الذى كان مدونا هو وأخباره حسبما  
يستفاد من فهرس ابن خير الاندلسي وقد كتبت عنه بعد ذلك  
ثلاث مقالات في فترات متباعدة مبادرة بما أظفر به من شعره  
ولو بيتا أو بيتين أزفهما للمهتمين بمثل هذه الابحاث وفي كل  
مرة أقول والى فرصة أخرى ان شاء الله .

وهذه مقالة رابعة في الموضوع أثبت فيها بعض الابيات  
من شعره لم تات في الكتيب المشار اليه ولا في المقالات التي

كتبتها بعده، وقد جاء فى كتاب شعر الفقهاء للدكتور حسنى ناعسة نقلا عن كتاب شعر الدعوة الاسلامية فى العصر الاموى لعبد العزيز الزيد ومحمد الاطرم الذى لم نقف عليه مع الاهتمام بطلبه من الجهات التى صدر عنها وصاحب هذا الكتاب قد اطلع على ما جمعناه من شعره سابق وأثبت بعضه فى كتابه مشيرا الى مصدره على طريقة العلماء.

والمهم أن ما انفرد به هذا الكتاب عن كتبنا من شعر سابق هو خمسة أبيات لا غير ثلاثة منها بحسب ما يظهر هى من قصيدته الرائية الطويلة التى رويناهما بنصها الكامل عن كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز للحافظ ابن الجوزى أولها قوله :

لكل بيت خراب بعد جدته

ومن وراء الشباب الموت والكبر

وقد أنشد قبل البيت الذى أوله: والموت جسر ،، والثانى

والثالث لم يمين موضعهما وهذا نصها :

مالى أرى الناس والدنيا مولية

وكل حبل عليها سوف ينبتر

لا يشمرون بما فى دينهم نقصوا

جهلا وان نقصت دنياهم شمروا

والبيت الرابع نرجح أنه من قصيدة طويلة هي التي رويها  
منها قطعة من حماسة الجراوى وأخرى من شرح المقامات  
الحريرية للشريسي وثالثة منه أيضا وهو هذا :

وكل نفس لها زور يصبحها

من المنية يوما أو يمسيها

والخامس هو هذا :

متى تكونوا على منهاج أولكم

وتصبروا عن هوى الدنيا كما صبروا

والغالب أنه من الرائية الطويلة وأخرنا إirاده لنورد  
تعليقا عليه للمؤلف يقول فيه «ومما يلفت النظر فى شعر  
سابق تفاوت مستواه ولا أعنى التفاوت المألوف فى نتاج كل  
شاعر وانما أعنى أن يجزم المضارع بعد متى الاستفهامية»  
وكان من حق الشاعر على المؤلف أن يخرج قوله على وجه  
معروف كحمل متى الاستفهامية على الشرطية الجازمة وان لم  
يكن هناك شرط أو على أنها شرطية جازمة والجواب محذوف  
والوجه الاول ورد فى أقوال النعاة تخريجا لقراءة ابن محصين  
قوله تعالى «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين  
لمن أراد أن يتم الرضاعة، بضم الميم والفاء عمل أن حملا

على ما المصدرية وأنشدوا عليه قول الشاعر :

يا صاحبى فدت نفسى نفوسكما

وحيثما كنتما لقيتما رشدا

ان تحملا حاجة لى خف محملها

تستوجبا منة عندى بها ويدا

ان تقرأن على أسماء ويحكمما

منى السلام وأن لا تشعرا أحدا

فرفع تقرأن مع دخول أن عليها، ولا ننسى أن سابقا

هو ممن يحتج به عند علماء النحو ثم ان المؤلف سامحه

الله تعرض لبعض المؤاخذات بحسب نظره تتعلق بتباعد

مخارج الحروف فى البيت الآتى .

لكم بيوت بمستن السيول وما

يبقى على الماء بيت أسه مدر

وقال : .. وهذه الهفوات اللغوية والفنية اذا لم يكن

لتحريف الناصخين فيها نصيب تؤيد مغربية سابق، وقد يمكن

أن يستنبط منها أنه لم يقل الشعر قبل وفادته الشام (كذا)

واتقانه العربية» ومعنى هذا الطعن فى عربية المغاربة

وجملهم بحيث اذا لم يفدوا على المشرق لا يمتد بعربيتهم ومع

أن العربية هي من المشرق لكن الامر فيها بعد انقراض  
عصر السليقة صار سواء بالنسبة الى المشرق والمغرب معا،  
وقد كان من المفارقة من حفظوا على المشاركة في بعض  
الاحيان علم العربية كابن مالك وابن حيان وابن عصفور  
والشلوبين وغيرهم وكانت مقدمة ابن أجروم هي ألف باء  
النحو في المشرق والمغرب عبر عدة قرون

وبإضافة الابيات الخمسة التي اشتملت عليها هذه المقالة  
يصير ما عندنا من شعر سابق 182 بيتا

— 5 —

كانت العودة الى سابق البربرى في هذه المرة أقرب مما  
نظن فقد كنا وقفنا على كتاب بهجة المجالس للحافظ ابن عبد  
البر في طبعته المصرية التي انما وصلنا منها الجزء الاول وقد  
ألم ببعض أبيات من شعره ولكننا أثرنا الانتظار حتى يأتينا  
الجزء الثانى منه أو على الاصح بقية الكتاب فطال انتظارنا  
وها هو الكتاب يأتينا كاملا فى ثلاثة أجزاء من طبع بيروت  
بتحقيق الاستاذ محمد موسى الخولى وبعد تصفحه وجدناه  
يحتوى على سبعة عشر بيتا مما لم يتقدم ذكره فى المجموعة  
الاولى وفى المقالات التى تلتها من بعد فضلا عن خمسة  
أبيات وقع الالمام بها فى المجموعة وما الحق بها .

وهذا العدد الكثير في الجملة من شعر سابق الذي احتواه كتاب ابن عبد البر يدل على أن ديوان شعر سابق كان موجودا بالاندلس حسبما علمنا من فهرس ابن خير وروايته له على ما أشير إليه في المجموعة المنشورة بعناية مجمع دمشق إلا أن هذا العدد المذكور من أبيات شعر سابق إنما يتمحص له منه بغير نزاع تسعة أبيات أما الثمانية الباقية فهي من قصيدة قافية يقول محقق الكتاب أنها لمالك بن عبد القدوس ذكرها له ياقوت في معجم الأدباء .

ولاشك أن ابن عبد البر إنما نقلها من ديوان سابق فهي من المختلف في نسبه .

ونذكر أولا الأبيات التسعة التي لا نزاع في نسبتها إلى صاحبنا سابق مما نسب إليه ابن عبد البر وهي أربعة ميمية يقول فيها :

يا أيها الظاعن في حظه

(و) إنما الظاعن مثل المقيم

كم من لبیب عاقل قلب

مصحح الجسم مقل عديم

ومن جهول مكثر ماله

ذلك تقدير العزيز العليم



حطك يأتيك وان لم ترم

ما ضر من يرزق الا يريم

وبيت مفرد هو :

جنى الضفائن آباء لنا سلفوا

فلن تبديد وللآباء أبناء

ويظهر أنه من قصيدة همزية من بحر البسيط سبق أن

ذكرنا منها أبياتاً متفرقة وبيت آخر مفرد هذا نصه

وتأخير ما يرجى بلاء مبرح

وأفضل ما يرجى من الخير عاجله

ولعله من القصيدة التي رويناهما عن ابن عساكر على هذا

الوزن وبهذه القافية وهذان البيتان

لسانك للدنيا عدو مباين

وقلبك فيها للسان مباين

وما ضرها ما قلت فيها وقد صفا

لها منك ود في فؤادك كامن

ونرى أنهما من قصيدة بهذا الوزن وهذه القافية ذكرنا

منها في المجموعة عدة أبيات، وأخيراً بيت هو :

جمعت لها أكلا وذما بالسن

أليس عجيباً ذمها واحتلابها

ويظهر أنه فى الدنيا وتعلق الناس بها مع ذمها، ولا يبعد  
أن يكون من قصيدة لم يصلنا منها الآن الا هذا البيت، والبيت  
السابق عن شرح القصائد السبع الطوال لابی بكر الانبارى

أما الابيات القافية المحتمل أن تكون له ولعالم بن عبد  
القدوس فهى مع المطلع :

المرء يجمع والزمان يفرق

ويظل يرقع والخطوب تمزق

ولان يعادى عاقلا خير له

من أن يكون له صديق أحقق

والناس فى طلب المعاش وانما

بالجد يرزق منهم من يرزق

ولو أنهم رزقوا على أقدارهم

الفيت أكثر من ترى يتصدق

ما الناس الا عاملان فعامل

قد مات من عطش وآخر يفرق

ان الترفق للمقيم موافق

واذا يسافر فالترفق أوفق

لو سار ألف مدحج فى حاجة

لم يلقها الا الذى يترفق

لا ألفينك ثاويا فى غربة

ان الغريب بكل سهم يرشق

بقى مما ذكره ابن عبد البر فى كتابه هذا من شعر سابق  
الذى تقدم لنا الالمام به بيتان من القطعة الشينية التى  
أولها :

إذا الواشى بفى يوما صديقا ،

وثلاثة أبيات من القصيدة الزهدية التى أوردنا منها قطعا  
متفرقة عن حماسة الجراوى وعن الشريسي وهى من بحر  
البسيط وقافية الياء والهاء .

وباعتبار القطع القافية التى قيل أنها من قصيدة لصالح بن  
عبد القدوس، من شعر سابق، وهى شديدة الشبه بنفسه  
وأسلوبه وقد نسبها اليه الحافظ ابن عبد البر وكلا الشا-  
والراوى متقدم على صالح وياقوت، يصبح معنا سبعة عشر  
بيتا أخرى من شعر سابق نضيفها الى ما ذكرناه قبل فنخرج  
بتسعة وتسعين ومئة بيت (199) والبقية تأتى ان شاء الله

## نبذة من شعر ابراهيم بن سهل ليست في نسخ دواوينه المطبوعة

يظهر ان شعر ابراهيم بن سهل لم يجمع كله، وان نسخ دواوينه المطبوعة ينقصها غير قليل من شعره الذى يوجد متفرقا فى أكثر من كتاب من كتب الأدب، أو بعض مخطوطات ديوانه التى لم تطبع بعد ومنه نبذة لا بأس بها فاتت جميع نسخ الديوان حتى المطبوعة الاخيرة التى استدركت جملة سالحة من متفرق شعره.

وهذه النبذة الشعرية من فائت دواوين بن سهل تقع ضمن أوراق من مجموع مخطوط بمكتبتنا الخاصة يشتمل على عدة مؤلفات منها شرح الافرانى لموشح ابن سهل ويبلغ عددها احدى عشرة صفحة، وكلها من شعر صاحبنا بحيث تكون ديوانا صغيرا أو منتخبا من ديوان له، ولاول مرة قرأتها لاحظت ان بعض شعرها غير معروف، وقابلتها بالديوان المطبوع بمصر فى مطبعة التقدم بمعرفة الشيخ حسن العطار وعناية الكتبى المغربى المعروف مولاي احمد القادرى فتأكد لى ذلك.

ولما لم أكن أملك غير هذه الطبعة من ديوان ابن سهل  
فأني لم اهتم بالامر، وبقيت كذلك الى ان وقفت على الطبعة  
الجديدة التي أصدرتها دار صادر ببيروت بمقدمة للدكتور  
احسان عباس بتاريخ 1387هـ الموافق 1967م وفي التصدير الذي  
كتبه المشرفون على الدار لهذه الطبعة ذكروا ان الديوان  
طبع طبعة حجرية بأشراف الشيخ حسن العطار سنة 1302  
وطبع بمطبعة الترقى بمصر بأشراف الشيخ أحمد حسين  
القرنى سنة 1324هـ 1906م وطبع بدار صادر أولا سنة 1951 قبل  
هذه الطبعة الجديدة ولم يشيروا الى طبعة القادرى التى  
بأيدينا وقالوا أن الدكتور احسان اطلعهم على صورة مخطوطة  
من الديوان أحضرها من المغرب ولكنها غير تامة، بل بها بتر  
ضاعت بسببه بقية حرف الراء والكاف واللام وبعض الميم،  
فأكملوا هذا النقص فى الطبعة الجديدة من نسخ الديوان  
المطبوعة فيما قبل وأضافوا الى ذلك ما وجدوه من شعر ابن  
سهل فى مصادر أخرى بلغت فى تعدادهم أحد عشر كتابا من  
المظنان ما بين مغربى ومشرقى .

وَإِذْ ذَاكَ وَجَدْتُ نَفْسِي أَمَامَ عَمَلٍ مُتَكَامِلٍ يُمْكِنُ بِنَايَةِ

السهولة مقابلة الاوراق المذكورة به، لمصرفه ما اذا كانت تلك الاشعار غير المعروفة مما تنفرد به عن جميع نسخ الديوان المطبوعة وما أُضيف اليها من الكتب المظان،

وقد وجدت الأمر كذلك بالفعل، وتبين لى ان شعر ابن سهل لم يدون كله، وان جمعه كان على فترات فلذلك تمددت دواوينه، واشتمل بعضها على زيادات من قبيل ما فى هذه الاوراق التى ربما كانت مشروعا لديوان او منتخبا منه ومع ذلك فقد بقى منه ما تفرق فى مصادر أخرى مما جمعه طبعة دار صادر الجديدة.

وقد كان عملى اولا استخراج هذه الزيادات من فائت دواوين شعر ابن سهل الذى انفردت به الاوراق المومى اليها وهى ما بين قصيدة وابيات ومخمس: سبت قطع تجيء فى أزيد من ستين بيتا بحسب اشدطار الخمس وقد جردتها وضبطتها وعلقت عليها بما يلزم واثبت ما كتب على بعضها فى طرة الاصل، ولم أراع فى ترتيبها الا ترتيبها فى الاوراق، وهو على ما يظهر كان كما اتفق لا على الحروف ولا غيرها. ولا بد من الاشارة الى أن كاتب هذه الاوراق هو كاتب التأليف التى يتكون منها المجموع واسمه محمد بن محمد بن

اسماعيل بن عمر بن صالح الحسنى التلمسانى يدعى ابن مخلوف نزيل طنجة وانتساخ بعض هذه المؤلفات مؤرخ بعام 1292هـ وبعضها وهو شرح التوشيح الذى تأتى الاوراق الشعرية بأثره تاريخه عام 1295هـ فمرجعها اذن الى اواخر القرن الثالث عشر والخط عادى الى رديء ومدايه فاتح الى ناضل وكذلك الألوان التى تتخلله وهى ما بين احمر فاقع وازرق ومركب منهما اى بنفسجى والكاتب يعنى باختلاف النسخ وتفسير معنى بعض الابيات فى الطرة وهو مع ذلك يقع فى كثير من الخطأ

وتبتدى اشعار الاوراق بلفظ الحمد لله وهذه العبارة: ولاين سهل عفا الله عنه وتستترسل هكذا: وله أيضا.

ثم انى رقت اشعار هذه الاوراق فكان عددها ثلاثة وثلاثين، بادخال الزيادات المقصودة بالذات وفائدة ذلك ان أعطى لكل رقم منها رقمه فى الديوان اذ أن اشعار الديوان فى طبعته الجديدة كلها مرقمة، فتعرف بذلك اشعار الاوراق ما عدا الزيادات الست التى ستذكر بنصها، فأرقامها هى التى ستسقط من هذا الجرد.

وعمل آخر كان لابد من القيام به، وهو مقابلة هذه

الاشعار بنظائرها فى الديوان لتصحيحها أو معرفة اختلاف النسخ أو وجود بعض الابيات الزائدة أو غير ذلك، وقد تم هذا العمل بغاية الدقة كما سيرى ذلك فى محله.

والنظرة الاولى الى هذه الاشعار تقضى بأنها لابن سهل، فهى فى موضوع الغزل الذى يغلب على شعره وكاد يختص به، وهى كثيرا ما تحوم على المعانى المستقاة من النصوص الدينية وأخبار الانبياء وخاصة سيدنا موسى عليه السلام، وإلى ذلك فهى تترواح بين الاجادة والضعف واقتباس معانى الشعراء السابقين فقلما يأتى بشيء من عنده، واجادته انما تكون فى صوغ ما اقتبسه صياغة محكمة، وكذلك شعره فى الديوان واجود شعره موشحة هل درى ظبى الحمى، وقصيدة سئل فى الدياجى وتنازعنى الآمال، وبعض الموشحات والقصائد الاخرى والمقطعات التى تميزت فيها شخصيته وظهرت عبقريته.

وقد يحول بعض التصحييف الذى دخل شعره عن استجلاء المعنى الذى يقصده فيضعف كما وقعت الاشارة لذلك فى موضع أو موضعين من هذه الاشعار .



## الزيادات

3

حبيبي على الدنيا اذا غبت وحشة  
فيا قمرى قل لى متى انت طالع  
لقد فنت روحى عليك صباية  
فما انت يا روحى المـزينة-صانع  
سرورى بأن تبقى بخير ونعمة  
وانى من الدنيا بذلك قانع  
فما الحب ان ظاعنته لك باطل  
وما الدمع ان أفنيته لك ضائع  
وغيرك ان أوفى فما انا ناظر  
اليه وان نادى فما انا سامع  
كانى موسى حين ألقته أمه  
وقد حرمت يوما عليه المراضع  
أظن حبيبي حال عما عهدته  
والا فما عذر عن الوصل مانع  
فقد راح غضبانا ولى ما رأيته  
ثلاثة ايام. وذا اليوم رابع

أرى قصده أن يقطع الوصل بيننا  
وقد سل سيف اللحظ والسيف قاطع  
وانى على هذا الجفاء لصابر  
لعل حبيبى بالرضا لى راجع  
وأن تتفضل يا رسولى فقل له  
حبيبك فى ضيق وجلمك واسع  
فوالله ما ابتلت لقلبى علة  
ولا نشفت منى عليه المدام  
تذلت حتى رقى لى قلب حاسدى  
وصار عدوى فى الهوى لى شافع (1)  
فلا تنكروا منى خضوعاً رأيتم  
فما أنا فى شىء سوى الحب خاضع

# 11

موسى ترفق ولا تضعنى  
عبدك لا شك بفض مالك (2)  
إذا مزايا الجمال عدت  
لم يحسب البدر من رجائك

---

(1) لا يغنى أن المقام هنا للتعجب لا لتأرفع ،  
(2) كتب على هذا الشطر بطرية الاصل: أى لا تشك أن عبدك هو من  
جملة مالك لكونه مهتذى من المال الذى لك بلا شك ولا ريب

لأننا منك الزمان حفظا

ولا الذي نلت من ومالك (I)

15

مقالة هـ منى نظرت

## حزنی قلبی امرت

وَذُو دَلَالِ اِهـ\_\_\_\_\_ف

نکونہ (2) قدم عطرت

فِي وَجْهِهِ مِنْ أَجْلِهِ

( إذا السماء اذف طبرت )

وَادِمَمِي مِنْ أَجْلِهِ

( إذا البحار فجرت )

ومهجيتي من هجوره

( إذا الجعیم - - - - - رت )

## وخطري في حبه

( إذا النجوم انكسرت )

بدر جان عقلمه

( إذا الجبال سـهـرت )

(I) بمجلة الحوليات: الا الذي نلت،

(2) بالاصل نهكت

قد علمت نفسي به  
 (ما قدمت واخبرت)  
 قلت له متى اللقاء  
 وادممي نحدوت  
 فقال لي مجابيا  
 (اذا القبور بعثرت)  
 اراد قلبي عامدا (1)  
 (بسأي ذنب قلت)

19

أما آن للبدر المنير طوع  
 فتشرق اوطان له وربوع  
 فيا غائب ما غاب الا بوجهه  
 ولى ابدًا شوق له وولوع  
 سأشكر كما زاد فيه عبادتي (2)  
 وان كان فيه ذلة وخضوع  
 أصلى وعندي للصباية رقة  
 فكل صلاتي في هواك خشوع  
 أحبابنا هل ذلك العيش عائد  
 كما كان اذ أنتم ونحن جميع

---

(I) بالامل: عمدا (2) كذا وقد تكون عبادتي وزاد: زار ومع ذلك يبقى  
 المعنى غامضا.

وقلتم ربيع موعد الوصل بيننا  
وهذا ربيع قد مضى وربيع  
فقد فنيت يا هاجرى رسائلى  
ومل رسول بيننا وشفيع  
فلا تقرعوا بالعتب قلبى فانه  
وحقكم مثل الزجاج صديع  
وما ضاع شعرى فيكم حين قلته (١)  
بلى وأبيكم ضاع فهو يצוע  
أحب البديع الحسن معنى وصورة  
وشعرى فى ذلك البديع بديع

## 20

وله وقد مر بعانوت حجام فأبصر مليحا يفصد فأنشأ  
انظر الى دمه فى الطاس حين جرى \*  
نوعا من الراح فى كأس من الذهب  
حتى اذا غيببت فى كفه يده (2)  
كالشمس غابت عن الابصار فى الحجب

---

(١) فيكم ليست فى الاصل ولا بد منها وحين قتله تصحفت فى الاصل  
بحين نلته وضاع يצוע فى عجز البيت بمعنى طاب يطيب.  
(2) فى الاصل: يدا فى كفه ونظن ان صوابه ما اثبتناه.  
(\*) بمجلة الحوليات: أما ترى دمه فى الطشت ... سلافة الراح وتزيد  
بيتا هو: لو لم تكن من دم المنقود ريقته لما اشتكى خده القانى من اللهب  
وبمده: ثبت يدا عاذلى فوق وجنته  
بمد ذلك يأتى بيت: حتى اذا دخلت فى كفه يده .. على هذا انحر وعجزه كما  
عندنا، والبيت الاخير يبتدىء هكذا: ارجع لما قال ...

تبت يد كتبت من فوق وجنته

حمالة الورد لا حمالة الحطب

انظر كما قال في التنزيل خالقنا

أخفض جناحك يا موسى من الريح

33

الحظا ظبى فوق ثغر لال

أهلال تم فوق جيد غزال

أقضي بآن فى كتيب رمال

هب النسيم بغضنه الميال

فاختال بين ترنج ودلال

رشا يهيم يحسن منظره الرشا

يروى ويرعى فى المدامع والحشا

قلم الجمال بصحن خديه وشى

أحكم على أهل الغرام بما تشا

وقد الملاح فانت فيهم وال

كلف الفؤاد بحب أحوى أحور

يفتر مسكا عن ختام السكر

فى ففبه ففرفى كوفرف من فوفرف

فمفمف لف فى الفال نفمفة عنبر

فأفاب مام الفم فام الفال (1)

من لف به لبس الملافة وارمف

وكمف الفزالة مقله ومقلما

والورق فمشق منه فمنا أملما

وممفم الافواس ان ففزوم

برضابه بملا من الفرفال (2)

ظففى مهاب (3) بفن ممشمفك القنا

الفاظه ففها المنافا والامن

مفمروه فوفا مضم ان ففمنا

والله ما فط النقاب ولارنا

الافمفم كل قلب سال

لما فملم فى سنا أشراقه

والسحر ممفوم بمفم فطاقه

والفوم فى الافكام من أفاقه

اسفل سف اللفم من أفاقه

---

(1) من معانى الفال الفؤام والرمل الضمف ومما أنسب المعانى بالفال

(2) الفرفال الفم

(3) فم ما فمرف على الافسفة، والصواب ممفب

فعلمت ان اليوم يوم قتال

آه لما حملته فى حبه

من لين معطفه وقسوة قلبه

ألف الصدود فلا سبيل لقربه

أمسى واصبح مفرما صبابه

فانى الحشايشة وهو خلو البال

اسكنته صدرى فتاه وما ارتضى

وقضى بهجرى فارتضيت بما قضى

ووهبت روحى ابتغى منه الرضى

وبذلت نوما جفنه ما غمضا

الا لكى يحظى بطيف خيال

يا شادنا فى العاشقين محكما

احللت من سفك الدماء محرما

فوقت من الحظ جفئك أسهما

وقتل نفسا فى الهوى فكانما

سلطت الحاظا على الآجال

ما ضر لو رحم الفريق بمزنه

أولو شفى يعقوبه من حزنه



جسمى تساوى فى السقام بجفنه

سبحان من فتن المباد بحسنه

وقضى لجسمى فيه بالاعلال

## ارقام الاشعار فى الاوراق وارقامها فى الديوان

رقت اشعار هذه الاوراق بحسب ترتيبها فيها من واحد الى 33 قصد مقابلتها بما فى الديوان، اذ كانت الاشعار فيه مرقمة ايضا، ومن فوائد ذلك معرفة المحتوى الشعرى الذى تضمنته كما قلت سابقا، وهذه هى تلك الارقام مسلسلته من I الى 33 ما عدا ارقام الزيادة طبعا، وما يقابلها فى الديوان:

1, 59. 2, 114. 4, 120. 5, 106. 6, 126. 7, 8. 8, 10. 9, 60.  
10, 63. 12, 62. 13, 34. 14, 15. 16, 9. 17, 103. 18, 30.  
21, 27. 22, 122. 23, 28. 24, 104. 25, 109. 26, 49. 27, 84.  
28, 115. 29, 19. 30, 20. 31, 45. 32, 85.

### التصحيح وتعدد النسخ

بعد ترقيم اشعار الاوراق اجرينا مقابلة بينها وبين نظائرها فى الديوان، فتبين لنا أن بين بعض الفاظها اختلافا

وفى البعض الآخر تصحيئا، ونحن ثبت ذلك فيما يلى:

الديوان 59 : رأيت ظباء السمك لا تخزن المسكا

الاوراق 1 : رأيت ظباء السمك لا تمنع المسكا

الديوان 114: ويقدح فى الاحشاء نيران اشواقى

الاوراق 2 : وتقدح نار البرق نيران اشواقى

بعد بيت تحن الى الخيرى 106

فى الاوراق زيادة هذا البيت :

وما أسهر الظلماء الا لعللة

لينشقنى الخيرى من نشره عرفا

الديوان 106: ولا منصنى يدرى خلاف اسمه حرفا

الاوراق 5 : ولا منطقى يدرى خلاف اسمه حرفا

الديوان 106: ولولا حياتى واتقائى محله

الاوراق 5 : ولولا حياتى واتقائى بنخله

الديوان 126: فنص لى لحظة الامراض والعللا

الاوراق 6 فقص لى لحظة الامراض والعللا

الديوان 126: لو كان ينضح من ماء اللمى نصلا

الاوراق 6 او كان ينضح من ماء اللمى نهلا

الديوان 126: شوقى اليك ولا كلفت شوقى قد

الاوراق 6 : شوقى اليك ولا حملت شوقى قد

الديوان 60 : سامحت فى سفك دمي باخلا برشفة من  
ريقه السلسل

الاوراق 9 : سامحت فى سفك دمي باخلا برشفة من  
ريقه السلسل (I) .

الديوان 60 : أحسن من عصر الصبا المقبل

الاوراق 9 : أحسن من غصن الصبا المقبل

الديوان 60 : شاكى سلاح القد والمحظ في حرب شريح عن  
صبره أعزل

الاوراق 9 : شاكى سلاح القد والنهد والعينين فى حب  
شريح أعزل

الديوان 60 : منسلب الحيلة والصبر لا

الاوراق 9 : مستلب الحيلة والصبر لا

لكن سقطت منه الحيلة .

الديوان 63 : الا هوى رد حقى عند باطله

الاوراق 10 : الا هوى رد حقى عبد باطله

---

(I) . جاء فى طرّة هذا البيت

مايل: باخلا منصوب باستقاط الخافض تقديره لباخل سامحت فى سفك  
دمي، فهل أبخل من هذا «المسامح بفتح الميم الثانية، ولا يغنى ما  
فيه من التكلف، وكان يصح هذا التقدير لو كان الفعل «سمحت»  
كما فى الديوان، ولكن الديوان ليس فيه باخلا بل راضيا فهو لا  
يحتاج لهذا التقدير .

الديوان 63 : وحاجتى فيك بين اليأس والامل  
الاوراق 10 : وحاجتى منك بين الخوف والغجل

الديوان 34 : وخط بصدغه للحسن واو

الاوراق 13 : أخط بصدغه الحسن واوا

الديوان 9 : ظلمت منك لوعد

الاوراق 14 : ضحيت منك بشمس

الديوان 103 : ولا يحمل حلم الضعفا

الاوراق 17 : ولا يحمى حلم الضعفا

الديوان 103 : ما كنت موصولا فافك عصر وصل سلفا

الاوراق 17 : ما كنت موصولا فأبكى عصر وصل سلفا

الديوان 85 : بقبلة نسكى انه وجهك الحسن

الاوراق 32 بقبلة نسكى انها وجهك الحسن

### — تكملة —

بعد ان كتبت هذا المقابل بمدة، اطلعت على العدد التاسع عشر من مجلة حوليات الجامعة التونسية الذى صدر أخيرا وهو عدد خاص يحمل عنوان أشعار لابن سهل الاسرائيلي من اعداد الاستاذ محمد قوبعة، أشعار فيه الى مخطوطات، ديوان ابن سهل الموجودة فى تونس، وضمنه نص كتاب الممتنع السهل فى ترجمة وشعر ابن سهل

للراعى النحوى الاندلسى، وقد قارن هذا الكتاب والدواوين  
الاخرى بمطبوعات ديوان ابن سهل، وخرج بزيادات من  
شعره على محتوى الدواوين المذكورة.

وكذلك قمنا بمقارنة مع هذا العمل الجيد، لاشعار  
النبذة التى قدمناها من شعر ابن سهل، فوجدناه يتوافق  
واياها فى ثلاثة اشعار وهى رقم II ورقم 20 ورقم 33،  
ويبقى من فائت شعره على مختلف الدواوين وهذا الذى  
احتواه عدد مجلة حوليات الجامعة التونسية التاسع عشر  
ثلاثة اشعار، امتازت بها هذه النبذة وهى الواقعة تحت رقم 3  
ورقم 15 ورقم 19،

اما الخلافات اللفظية فى الاشعار الثلاثة التى يتوافق  
فيها العملان فقد استدركنها فى التعاليق بعلامة

بقى ان نشير الى خطأ نسبة الابيات الاربعة التى اولها:  
وقف الهوى بى حيث أنت الابيات، الى ابن سهل فهى من شعر  
أبى الشيص الخزاعى كما فى ديوان الحماسة وغيره وأن  
صواب البيت الرابع منها هو :  
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا

ما من يهوى عليك ممن يكرم

والكمال لله.

# حارس الكنيسة

سمع حارس الكنيسة العظمى بمدينة جنوة في جوف الليل، حركة غير عادية داخل الكنيسة واذان وهو مستغرق في النوم قبل أن توقظه هذه الحركة، يحلم بقداس كبير يقام في الكنيسة، حضره القساوسة والرهبان، والكبير والصغير من سكان جنوة وخاصة أهاليها وعامتهم .

ولما صحا من نومه وتأكد من الحركة التي سمعها، نهض ينظر ماذا في الكنيسة، وما هو مصدر تلك الحركة، فاذا به يجد فرسا جامحا قد دخل الكنيسة وهو يشتد في رحابها جيئة وذهوبا، فشده مما رأى، وعلم أنه نسي أن يفتح باب الكنيسة فمال على نفسه باللوم ، ولعن الفرس الذي سبب له هذه الورطة، وقطع عليه اللحم الجميل الذي كان ينعم به في نومه.

ثم سار الى الفرس واحتال عليه حتى تمكن منه، فقاده الى خارج الكنيسة بعيدا عن ساحتها ، وألهب ظهره بالسياط ، فجرى الى حيث لم يعد يراه ، ورجع الى الكنيسة فأغلق بابها، ودلف الى مرقدته وهو يجر نفسه من التعب .

ولم يكد ضوء النهار ينتشر، وتدب الحياة في المدينة حتى أخذت أجراس الكنيسة تدق، معلنة باقامة حفلات دينية كبرى وصار السكان يتقاطرون على الكنيسة في ايمان وخشوع ، واكتست المدينة حلة زاهية من الفرح والابتهاج ، وماج الناس بعضهم فى بعض، يتناجون ويتباشرون، كما يكونون أيام الاعياد والمناسبات القومية السعيدة، ولئن كان فيهم من يتظاهر بالاستخفاف وعدم المبالاة، فيمر مسرعا كأن الامر لا يعنيه فى شيء، فان ذلك لا يؤخذ دليلا على ضعف الايمان ورقة الدين، وان كانت دلالته على الشك والارتياب واضحة لا خفاء بها .

وعلى كل ، فقد كان الحادث مفاجأة سارة لسكان جنوة ، فمنهم من اعتبره تكريما لمدينتهم وعلامة رضى عن الجنوبيين المومنين لتمييزهم باليقين الصادق والعقيدة الصحيحة، ومنهم من عده تأمينا لجنوة وحماية لها من جميع الطوارئ والمخاوف وهجمات الاعداء، أما رجال الدين فلم يترددوا فى أنه تركية لهم وشهادة باستقامتهم ، ثم هو تقديس لكنيستهم التى أصبحت منذ، اليوم، تفوق غيرها من الكنائس لما حصل لها من الشرف العظيم .

وما كان صاحبنا الحارس لينبس ببنت شفة . وهو يرى  
ويسمع ما يجرى وما يقال ، لانه مهدد على الاقل بتهمة  
الاهمال وعدم القيام بواجبه كحارس للكنيسة المظلمى ، فكيف  
اذا نطق بالحقيقة وبين للناس انهم فى ضلال يعمهون ، انها  
الهرطقة حينئذ . وتهمة الالحاد والكفر البواح .

ولو قدر لاولئك الشاكين والمرتابين أن يتحدثوا اليه ،  
وأمكنه أن يفضى اليهم بخبيئة نفسه لتغير وجه القضية من  
أمر خارق للعادة ، الى حادث بسيط يمكن أن يقع فى كل وقت  
وفى أى مكان لنفس السبب الذى وقع به ، ولا يستوجب الا  
القليل من الاهتمام ، من القليل من الناس

ولكن أنى لهم أن يهتدوا لسؤال الحارس ، أو أن يقوموا  
ببحث فى الموضوع والظروف الزمانية والمكانية كلها كانت  
ضدا على كل نزعة من هذا القبيل ، فليس الا الخضوع  
والاستسلام ان مع الايمان أو مع عدمه ، لمن أراد النجاة وعدم  
التورط فيما لا تحمد عقباه .

وغصت الكنيسة بالمومنين من جميع الطبقات ، رجالا  
ونساء وبرز القساوسة والرهبان فى زينة بديعة ومعهم الاطفال  
الصغار يحملون العلبان والمباخر والشمعدانات الثمينة مما



يضي على المكان جوا من الرهبة والخشوع، وبدأت الترانيم الدينية المؤثرة تتخللها أصوات رخيمة جميلة للبنات والصبيان، وأقيمت صلاة الشكر للرب الاب الذى فى السماوات على ما اختص به مدينة جنوة وكنيستها من فضل عظيم ، والقى الاسقف الاكبر خطبة رائعة ، تحدث فيها عن المعجزة التى حصلت فى الليلة السابقة حين زار السيد المسيح كنيسة بجنوة، ونزل اليها من الاعالى ممطيا فرسافارها ، فتلقته بغاية الشوق واللهفة، وانفجرت له سقوفها وجدرانها حتى حل برحابها ثم عادت فالتأمت بعد صعوده ، والابواب كلها موصدة، لم يستعمل واحدة منها . وهل هو بحاجة الى الابواب والمنافذ ليتصل بأبنائه ويحل بينهم متى شاء وانى شاء ؟ ! .

ثم كشف الاسقف الغطاء عن صحن رفيع كان بين يديه وبه بعض روئثات طرية وجدت بالكنيسة فجر اليوم نفسه ، فهى ولاشك من أثر الفرس الذى تمت به الزيارة الكريمة المحتفل بها، وأقبل الحاضرون على الصحن يتأملونه ويتمسحون به ويود كل واحد لو أخذ شيئا منه على سبيل التبرك، مهما قل وضؤل، الا الحارس الذى كان يعجب لما يرى وتمتعل فى نفسه بواعث الشك والحيرة ، ففيما يرى القداس العظيم

الذى حلم به أول الليل هو نفسه الذى يقام الآن يقظة لا  
مناما، يخطر فى باله المناسبة التى يقام بها هذا القداس  
وحقيقتها التى يعلمها هو حق المعلم، ثم يحاول أن يخطئ  
نفسه ويقول لعل الامر كما يظنون ، لكنه يذكر أن الفرس  
كان جامعا وأنه كان عريا وأنه ربما عرفه من بين أفراس  
أهل المدينة، وأنه لم يكن يصحبه أحد لا راكبا ولا راجلا ،  
وأنه قاده بنفسه الى خارج الكنيسة وضربه حتى عدا وابتعد  
عن رؤية بصره، فكيف يكون ما يسمعه صحيحا وخصوصا عن  
انفراج سقف الكنيسة ونزول الفرس من أعلى ، وهو يعلم أنه  
نسي باب الكنيسة مفتوحا ومنه دخل الفرس، وأنه لما أخرجه  
عاد فأغلق الباب بيده ، فكيف يقبل أن الفرس صعد الى فوق  
ولم يخرج من باب ولا منفذ ؟ ..

وانطوى على نفسه حائرا أشد ما تكون الحيرة، لا يدري  
ما يفعل ، و صار الى حالة من الوجوم فقد معها كل نشاطه ،  
ولم يعد يأنس بأحد، أنه يخاف أن يفرط منه ما يظهر الناس  
على سريرته، لقد تضعف ركن الايمان المسيحى في قلبه ،  
وتغيرت نظرته للأشياء فأصبح يشك في كثير من الامور التى  
كانت عنده حقائق مسلمة وسيطر عليه الهم والحزن، فكنت

لا تراه الا هائما على وجهه شارد الفكر، لا يقر له قرار ،  
فبينما هو في رحاب الكنيسة يتلهى ببعض الاعمال، اذا به  
يتسكع فى طرق المدينة من غير قصد ولا حاجة ، وتعود ان  
ينزل الى الميناء، يسرح نظره فى البحر وينشق نسيمه المنعش  
واستأثرت بانتباهه حركة المراكب البحرية العادرة والواردة،  
وخصوصا هذه التى ترد من الضفة الاخرى للبحر، وكانت بين  
جنوة والمغرب خطوط مواصلات بحرية منتظمة فلم يفتأ يلاحظ  
أحوال هؤلاء البحارة الغرباء والركاب الذين يقدمون معهم  
ويستفسر عن شؤونهم ، ويتتبع مواعد ذهابهم واياهم، حتى  
أنس بهم وتعرف الى أكثرهم وانعقدت بينه وبين بعضهم  
صداقة أدت الى أن عزمه ذات يوم الى بيته، فبات عنده .  
ورآه حين استيقظ فى الفجر وتوضأ وصلى الصبح فسأله عن  
عمله ذاك فأخبره أنه عبادة وصلاة لله عز وجل، مفروضة على  
المسلم خمس مرات فى اليوم وزاد سائلا عن مضمون هذه  
الاقوال التى سمع يرددوها فى صلاته وعقيدة المسلم ما هي ،  
فبين له ضيفه وصديقه بقدر ما يستطيع كل ما سأله عنه ،  
وهو يستوعب ما يسمع ولا يعلق بشيء .

ومررت أيام وأيام وهو على حاله من التهمم والشرود ولا

أحد يعرف ما ينطوي عليه صدره ولا ما يجول في خاطره حتى صديقه المغربي الاجنبي عن بلاده وقومه، لم يكن يعرف شيئاً من دخيلته، لانه لم يفض اليه بذلك قط، الا أنه في بعض الايام كاشفه بأنه يريد زيارة المغرب فهل يأخذه معه؟ ولما رحب الصديق به سألته أن يكتم الامر ويخبره بيوم ابحار المركب من جنوة عائدا الى المغرب وهكذا حين حان الموعد وأقلعت السفينة المغربية من ميناء جنوة كان صاحبنا حارس الكنيسة مختبئاً في احدى زواياها يحدث نفسه بما أقبل عليه من تجربة حاسمة في مستقبل حياته

وسارت السفينة تمخر عباب اليم متباطئة تارة ومسرعة أخرى، بحسب ركود الريح وهبوبها، وكلما اقتربت من وجهتها وابتعدت عن محل قيامها هاج الشوق بالمسافر الغريب، وتساءل عما بقي من المسافة ومتى يكون الوصول، وصديقه المغربي يطمئنه ويحدثه عن بلاد المغرب وما سيجده، فيها من المتعة والراحة الى أن صارت معالم هذه البلاد تلوح له من بعيد، والبعارة يسمون له كل نقطة باسمها ويشرحون له ما خفي عليه، ثم بدأوا يستعدون للنزول وأخذت السفينة تتلمس مدخلها الى مدينة الرباط، ولم يمر الا قليل من الوقت حتى

كانت قد أرست بالشاطيء المغربى الجميل .

وكانت الرغبة الاولى للقادم الغريب هى الاتصال بالرئيس الدينى للبلد، ولما أفهمه صديقه المغربى أنه ليس هناك رئيس دينى فى الاسلام وكل ما هنالك علماء دينيون وقاض يحكم بشرع الاسلام، سأله أن يوصله الى القاضي ما دام هو صاحب السلطة القانونية

وصحبه صديقه الى محكمة القاضي، وحين مثل بين يديه أظهر رغبته الملحة فى اعتناق الاسلام والانسلاخ من دين النصرانية، ورحب به القاضي غاية الترحيب ولقنه الشهادتين وعرفه بقواعد الاسلام والعقيدة الصحيحة فى المسيح عليه السلام وسماء عبد الله وكتب له رسما عدليا بذلك

وكان فرح صديقه وسائر البحارة بدخوله فى دين الاسلام عظيما ، وعجبوا من حكايته التى كانت السبب فى انحرافه عن دينه السابق، واحتفلوا به وعرفوا به أصدقاءهم ، وصاروا جميعا يتعهدونه ويقضون له مآربه بحيث لم يشعر بفرجة ولا أحس بفرقة موطن، وقد غمرته سعادة روحية طفحت على جميع جوارحه وملامحه وجعلته يمتقد كأنه ولد من جديد .

وصادف أن يهودية أسلمت فى تلك الايام ، فتزوجها ورزق

منها ولدا سماء رضوان، لان ما انار طريقها وألف بين  
قلبيهما هو معرفة الحق والاستبطان الروحي لكلمة الله التي  
أوحاها الي رسله الثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام  
فقد كان هذا الولد بطلمه وعمله مرآة تعكس التعاليم الالهية  
الثابتة في الكتب السماوية التي أوتيتها الرسل المذكورون  
وهو الرجل الصالح الذي عرف في التاريخ وبين رجالات  
المغرب باسم الشيخ رضوان الجنوي وكان يقول : خرجت من  
بين فرث ودم لبنا خالفا \* ،

---

\* لهذه القصة واقع تاريخي لم نتعرف فيه الا بما تتطلبه الحكمة  
الفنية لصوغه في صورة عمل أدبي

بنو مـرين

## اصلهم وموطنهم

قرات فى مجلة الدارة الراقية (العدد الاول، السنة الثامنة الصادرة فى شوال 1402 هجرية - يوليوز 1982م.) مقالا بعنوان (المرينيون فى المغرب الاسلامى والمروبة، فى ضوء الدراسـ الاثتروبولوجية) للدكتور عبد الباقي على قـة، كتبه بمناسبة زيارته لقلعة المنصورة، كما سماها، فى احدى ضواحي تلمسان مع قسم التاريخ بجامعة قسنطينة بالجزائر وكان ان طلب منه القاء كلمة عن هذه القلعة، ومن أجل الحصول على معلومات عنها لجأ الى المركز السياحي بتلمسان، فأمدته بنشرة جاء فيها أن المرينيين عرب رحل حاصروا تلمسان سبع مرات وأشارت الى الحصار الطويل الذى دام نحو ثمان سنوات من (698 - 706) وشيدوا أثناء الحصار مدينة المنصورة المفتخرة بمسجدها وقصرها ومخازنها وحدائقها وحماماتها وديارها .

والى هنا والامر جلى لا اعتراض عليه ، الا فى قوله عرب رحل لكن الكاتب الفاضل مهد لهذا الكلام بكلمة أشار فيها الى ذكر بنى مـرين فى «بنى مـرين» فى شعر امرئ القيس وأنشد على ذلك قوله :

ولو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا  
والم المامة خفيفة بالحرب التى كانت بين الحارث بن عمرو  
من جدود امرئ القيس واحد ملوك كندة، والمنذر بن ماء  
السماء ملك الحيرة والتى انتهت بقتل الحارث وولديه فى  
ديار بنى مرينا .

وبناء على ذلك فقد استشكل أن يكون المرينيون عربا  
رحلا وهم الذين شيدوا مدينة المنصورة أو قلعتها التى  
فاقت قلعة الحماديين بالاتقان والزخرفة، ورجح أن يكون  
لهؤلاء العرب وجود قبل وصولهم الى المغرب فى مركز حضارى  
مهم عرفوا فيه الاستقرار ودرسوا فن المعمار، ومن ثم لا  
محل لوصفهم بالعرب الرحل، الى آخر ما قال .

ولجا الى ابن خلدون للفصل فى الموضوع. ولكنه وجده  
ينسب بنى مرين الى زناتة من قبائل المغرب، فقال :  
«يبدو أن لونا من الاختلاط وقع بين بنى مرين وقبيلة زناتة  
حتى ظن ابن خلدون أنها بطن من زناتة»

وبعد تتبع أقوال أخرى لابن خلدون فى هذا المنحى  
وحكمه عليها بالغموض قال وهكذا انتقل هذا الخط الى  
بقية المؤرخين المحدثين حتى الشيخ عبد الرحمن الجيلالى



فهو يقول فى التاريخ لبنى مرين: «المرينيون هم فخذ من بطون القبيلة العظيمة زناتة كانت مساكنهم ومواطنهم وراء تلمسان غربا على ملوية وجنوبا الى نواحي سجلماسة وبصحراء فكيك الخ ...

وبمقتضى كلام الدكتور يكون الامر قد اشتبه على جميع مؤرخى المغرب من قبل ابن خلدون، وعمدتهم ابن أبى زرع صاحب كتاب القرطاس، وكذا من بعده وأشهرهم الناصرى صاحب كتاب الاستقصا وهذا شىء غير مقبول أوقعه فى ذلك الاعتماد على بيت امرئ القيس السابق الذكر، وهو بيت انشده ابن منظور فى لسان العرب فقال :

«وبنو مرينا الذين ذكرهم امرؤ القيس فقال :

فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا هم قوم من أهل الحيرة من العباد، وليس مرينا بكلمة عربية» وكذلك قال صاحب القاموس فيهم، ومزجه فى اتاج عند شرحه فصار هو نفس نص اللسان .

والعباد بكسر العين قوم من شتى قبائل العرب اجتمعوا على دين النصرانية بالحيرة فسموا بذلك ،

وبهذا وحده يظهر أن بنى مرينا لا صلة لهم ببنى مرين

## المغاربة .

فبنوا مرين آخر اسمهم نون وبنو مرينا آخر اسمهم ألف .  
ثم ان كونهم متنصرة من شتى القبائل يمنع أن يكونوا هم  
بنى مرين المغاربة الذين لم يعرف عنهم قبل ولا بعد انتماء  
لدين النصرانية .

وكونهم بعض العبادين يدل على أنهم أقلية ممن تتألف  
منهم جماعة العباد، والمرينيون قبيلة كبيرة من قبائل زناتة  
فأين تجيىء هذه الفئة القليلة منهم بل أين تجيىء جماعة العباد  
كلهم من أهل الحيرة، من بنى مرين القبيلة المغربية التى  
رأينا مواطنها تضرب فى جهات متباعدة من بلاد المغرب ؟ ،،،  
والدكتور على حق فى اعجابه بالقلمة أو مدينة المنصورة  
وتعجبه من أن يكون بناتها عربا رحلا كما وصفوا فى نشرة  
المركز السياحى بتلمسان، ولكن هؤلاء البدو الرحل كانوا  
قد نزحوا الى المغرب من الصحراء قبل بناء المنصورة بنحو  
ثمانين عاما ونشبت بينهم وبين الموحدىن ملوك المغرب  
والاندلس حروب طويلة قضا فيها على الدولة الموحدية وحلوا  
مكانها فى الاستيلاء على شؤون الدولة وتأسيس المملكة المرينية  
والمغرب يومئذ فى قمة ازدهاره علما وحضارة وعمرانا وكان

السلطان يوسف ابن يعقوب المنصور سابع ملك منهم سمى  
فى توحيد المغرب الكبير كما كان عليه الامر أيام الموحدين  
فمن ثم قامت الحرب بينه وبين صاحب تلمسان، وكان الحصار  
الطويل الذى بنيت المنصورة أثناءه .

قال فى الاستقصاء بعد أن ذكر زحف السلطان يوسف  
المرينى على تلمسان وتحصن صاحبها وقومه بالجدران  
وتمويلهم على الحصار:

«ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله  
سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران، وصيرها فى  
وسطه ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى  
وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل  
مسالح تعرسه، وأوعد بالعقاب من يختلف الى تلمسان برفق  
أو يتسلل اليها بقوت، وأخذ بمخنقها من بين يديها ومن  
خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ،  
واستمر مقيما عليها كذلك مئة شهر، ولما دخلت سنة اثنتين  
وسبعمئة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه،  
قصر السكناء، واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليهما سورا  
يعرزمها .

ثم أمر اناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل  
الرحيبة والقصور الانيقة، واتخذوا البساتين وأجرؤا المياه .

وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمرستان  
وابتنى مسجدا جامعا اقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا  
رفيما وجعل على رأسه تفافيع من ذهب صير عليها سبعمائة  
دينارا، ثم آدار سورا على ذلك كله، فطارت مدينة عظيمة  
استبحر عمرانها، ونفقت أسواقها، ورحل اليها التجار  
بالبضائع من جميع الآفاق، وسماها المنصورة فكانت من أعظم  
أعمار المغرب وأحفلها الى أن خربها آل يغمراسن عند مهلك  
السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها» (I) .

ونشير الى أصل بنى مرين، فهم فخذ من زناتة كما سبق  
القول، وزناتة قبيلة عظيمة من قبائل المغرب، يدخل تحتها  
أقوام وفرق عديدة من البطون والافخاذ، وهم ينسبون الى  
المغرب ويقولون أنهم أبناء بر بن قيس عيلان، فهم من مضر  
ولهم فى ذلك أشعار وحكايات عن هجرة أوائلهم الى المغرب  
واختلاطهم بأهله وفى ذلك يقول شاعرهم عبد العزيز  
الملزوزى من أرجوزته المسماة نظم السلوك فى ذكر الانبياء  
والخلفاء والملوك :

---

(I) الاستقما ج 2 ص 39

فجاورت زناة البرابرا      فصيروا كلامهم كما ترى  
ما بدل الدهر سوى أقوالهم      ولم يبدل منتهى أحوالهم  
بل فعلهم أربى على فعل العرب      في الجود والايثار ثم في الادب  
هذا قول نسابتهم، ولكن النسابة العرب ينكرون ذلك، ومنهم  
ابن حزم وغيره، والله أعلم .

ولمزيد العلم عن بنى مرين وأصلهم ينبغي الرجوع الى كتاب  
القرطاس السابق الذكر وكتاب الذخيرة السنية في تاريخ  
الدولة المرينية وهو لمؤلف مجهول نرجح أنه ابن أبى زرع  
صاحب القرطاس والى كتاب روضة النسرين في تاريخ دولة  
بنى مرين والى كتاب الاستقصاء في تاريخ المغرب الاقصى  
وتاريخ ابن خلدون وسائر الكتب المغربية المختصة وهى  
كثيرة ،

# الالفاظ والاساليب المستحدثة

تعينى الامم بلغاتها كما تعينى اللغات بأممها، فاذا رأيت أمة خاملة الذكر ضعيفة الحول، فانك لابد أن تجد لغتها قاصرة متخلفة، تعكس الاوضاع القائمة فيها من مجتمع بدائى وحياة ساذجة وجيل من الناس محدود النشاط والتفكير وبالعكس اذا كانت الامة حية متطلعة الى افاق النمو والتطور كانت لغتها مستجيبة لحيويتها متفاعلة مع عوامل التغيير الذى تتعرض له، فلا تلبث ان تصير من اللغات ذات الشأن، اسوة بالذين يتكلمون بها.

ولكم رأينا من أمة لم تكن شيئا مذكورا هى ولغتها، فما ان مسها تيار التطور والتغيير، حتى برزت للوجود تأخذ وتعطى وتتبادل أسباب التقدم والرقى مع غيرها من الامم النامية، بوسيلة اللغة التى دبت فيها نسمة الحياة من أبنائها الناهضين، انما الغريب ان تموت اللغة بموت اهلها بعد الازدهار والانتشار حتى يصبح فك رموزها من الفتوحات العلمية كما وقع فى لغة قدماء المصريين اعنى الهيروغليفية مما يؤكدان الصلة بين حياة الامة واللغة شىء واقع لا مريية

فيه .

ويستثنى من ذلك بعض اللغات التي تعد أما لغيرها من اللغات المتفرعة عنها، فهي وان ماتت بموت المتكلمين بها، بقيت محفوظة في فروعها المنتشرة بين أمم حية لا تفتأ تستمد منها وتوسع لغاتها بالرجوع اليها اقتباسا وتوليدا واشتقاقا وتنظييرا، وكان هذا من حظ اللغتين اليونانية واللاتنية اللتين تعتمدهما أكثر اللغات الاروبية المستعملة اليوم، لاسيما المنبثقة اصلا من اللاتنية !

والاستثناء الاعظم من هذا هو اللغة العربية لغة الوحي والتنزيل التي استهدفت لكثير من عوامل الركود والتخلف بعدما كانت غلبه من النمو والازدهار حتى طبقت ارجاء العالم، وأصبحت لغة العلم والحضارة في بلاد الشرق والغرب طوال العصور الوسطى، واستوعبت ثقافة الهند والفرس وسائر الشعوب القديمة لكنها بعد ذهاب دولتها بسيطرة الاعاجم على العرب وغزو الفرنجة لارضهم، ثم استيلاء الغرب على مقدراتهم المادية والادبية، واضمحلال حضارتهم حتى أصبحوا عالة على الاجنبى فى كل شىء، فى هذه الحالة، لم يكن هناك مناص من دخول العربية فى عداد اللغات الميتة

لولا القرآن العظيم الذى حفظها وحفظ العرب أنفسهم من  
المصير الذى لقيه غيرهم من الامم البائدة

فهنا كانت اللغة هى صام الامن وضامن الوجود لامة  
الرسالة الخالدة التى يقول كتابها (انا نحن نزلنا الذكر وانا  
له لحافظون) ومن اللطائف فى هذا الصدد ما روى عن  
القاضى اسمعيل انه قيل له لم جاز التبديل على اهل التوراة  
ولم يجز على اهل القرآن فقال لان الله تعالى قال فى اهل  
التوراة (بما استحفظوا من كتاب الله) فوكل  
الحفظ اليهم، وقال فى القرآن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له  
لحافظون) فتكفل هو بحفظه، فلم يجز التبديل على أهله، ذكره  
عياض فى المدارك. وهكذا بقيت العربية وبقي العرب ، فصح  
ما قلناه فى أول هذا الحديث ان الامم تحيى بلغاتها كما تحيى  
اللغات بأسمها .

ولا أشير الى فشل المحاولات التى أريد بها الايقاع  
باللغة العربية والعاقبة باللغات الميتة، كاحلال العاميات  
الناشئة فى مختلف البلاد العربية محل الفصحى، وجعلها  
كاللغات المنبثقة من اللغة اللاتينية للقضاء عليها وتمزيق شمل  
الامة العربية، وكاقتراح كتابتها بالحرف الافرنچى كما حصل



فى اللغة التركىة وغيرها من اللغات التى كانت الى أوائل  
هذا القرن تكتب بالخط العربى ، لفصلها عن ماضيها المجيد  
وتراثها العتيد، وغير ذلك مما يوحى به خصومها وخصوم  
حضارتها، ويتلقفه مع الاسف بعض العققة من أبنائها عن علم  
مدخول أو جهل مستحكم، ويروجون له من حين لآخر بين  
الطلبة والشباب لعله يجد منهم قبولاً ورضى. فهذا نوع من  
الحروب التى تشن على أمتنا العربية فى شتى الميادين وكل  
الأوقات، فتشجد عزيمتها وتقوى همتها للمزيد من النضال،  
واحراز الغمل فى كل مجال

غير أن ما لابد من ذكره وانتويه به، هو هذه الجهود  
المتضافرة والأعمال المتواترة من أبناء العربية الأبرار  
كتابا وشعراء، وأساتذة وصحفيين ومجمعين، وفى طليعتهم  
أعضاء مجمعنا القاهرى الموقر، لبعث لفتنا الضادية وإحلالها  
محل الصدارة بين اللغات العامية الكبرى كما كانت ومستبقى  
كذلك بأذن الله مع تفوقها عليها بما تختص به من الزيادة  
فى عالم المعرفة الإيمانية والقوام الروحية على التراث  
الإنسانى، لا ينافسها فى ذلك أى لغة فى العالم .

ويمثل البعث اللغوى الذى تحرص عليه الجهات والفئات

من الناس الذين ألمعنا اليهم فى أمرين اثنين اولهما الحفاظ على سلامة اللغة من الشوائب التى تكشف نواضعها؛ كالألفاظ العامية والتراكيب المنافية للفصاحة بمخالفتها لقواعد النحو والتصريف والاقتباس من اللغات الاجنبية بغير مراعاة لطرق التعريب والترجمة الصحيحة.

وثانيهما سد فراغاتها الجمعية والتعبيرية بما يغنيها ويثريها من الالفاظ والاساليب التى هى فى حاجة اليها كالمصطلحات العلمية والتقنية والمفردات والاسماء التى تعين الادوات والاجهزة الحضارية الحديثة فان هذه الاشياء فى تزايد مستمر ولا بد لمسايرة ركب التقدم من ايجاد الوسائل التى تبلغنا اليه واولها الرصيد المعنوى الذى نودعه اياه واللغات لا تنمو وتتسع بغير الاخذ والعطاء وقد أعطينا كثيرا من لغتنا اللغات الاخرى ، ففي اللغة الاسبانية ما يزيد على 15 فى المئة من المفردات العربية فى مختلف مجالات الحياة من اجتماع واقتصاد وعلوم طبيعية وفلكية وزراعية وغيرها واما فى الادب والشعر والقصص والامثال فان عطاءنا فى ذلك كان هو أساس الابداع والخلق عند الاسبان ومن تأثر بهم فى هذه الفنون وما تزال اسماء بعض النجوم وبعض الآلات الهندسية

وبعض المناطق الجغرافية بل بعض العلوم بذاتها فى اللغات  
الاروبية الكبرى كعلم الجبر باللغة العربية. فاذا عدنا  
لاخذ ما نحن فى حاجة اليه من الفاظ وأساليب عن اللغات  
الآخري، فهى قد سبقت الى الاخذ عنا، وكذلك سبق أسلافنا  
فأخذوا عن اللغات القديمة ما نعبر عنه بالمعرب من الالفاء  
وصقلوه فصار من صميم العربية ودخل حتى فى لغة القرآن  
الكريم وما نقص ذلك من قدر اللغة العربية ولا أثر فى  
أصالتها، لان كيائها محفوظ بقواعدها النحوية والصرفية  
والبلاغية، ولا تدخل كلمة الى معجمها حتى تصهر فى بوتقة  
هذه القواعد وتصوغها على قالبها وقياسها المعروف والمقبول

ومن هنا يظهر أن الالفاظ والأساليب المستحدثة ليست  
كلمات وجعلا تقمض من هنا وهناك، ويوتى بها على غير هدى  
لتضخيم المعجم العربى وجعل حجمه أكبر مما هو، فان الامر  
أعظم من ذلك، ان الكم والكيف فيه مقتصرنان، والحدائق  
والمراقبة له ملازمان، وما نستحدثه منه غالبا ما يكون له  
أصيل فى اللغة العربية وطرق تعبيرها. نعتمد فيه الاشتقاق  
والتوليد والنحت والتركيب والمجاز والاستعارة والكناية وغير  
ذلك مما يؤدى المعنى المراد، ويكون وضعاً جديداً يضاف

عمل الواضع الاول، وعمل الواضع كما نعلم هو جعل اللفظ دليلا على المعنى، ومن ثم يكون المستحدث على هذه الطريقة عربيا خالصا لا غبار عليه، أما ان كان مما يقتبس من لغة أخرى فلا بد من خضوعه لعملية التعريب التى اشرنا اليها آنفا، وهى عملية معروفة ومتبعة فى سائر اللغات، وكفنا نعرف ما عمله الاجانب فى اسم نبينا محمد (ص) ليميزوه عن غيره من الاسماء الموافقة له، فالقبتبس على هذا النحو هو أيضا من صحاح العربية الذى يثبت قاعدة تعامل اللغات بعضها مع بعض، وقد أسرف بعض اللغويين المتشددون فأنكر العرب من الاساس وزعم أنه عربى أصيل!

وعلى كل فقد أضاف القرآن الى متن اللغة معجما كاملا لاسيما فى المعانى الشرعية والقانونية، ولم يزد على أن خصص العام وقيد المطلق وبين المجرى، فأوجد لكلمات الصلاة والزكاة والوضوء والغسل والزكاة والاضحية والجهاد والرباط والقراض والسلم والاجارة والجعل وغيرها سن مات الالفاظ، معانى ودلالات لم تكن لها من قبل، وهى هى نفس الالفاظ العربية التى كانت موجودة بالفعل أو بالقوة ولا علاقة لها بما أصبحت تفيد، من بعد، تماما كما فعلنا

نحن فى كلمة الجريدة والسيارة والباخرة والهاتف والثلاجة والكلية والجامعة والدستور والقانون والاذاعة والادارة الى ما لا يحصى من الالفاظ المستندثة ذات الدلالة الجديدة وان كانت هى قديمة .

اما اذا نظرنا الاساليب القرآنية التى صاغ بها الكتاب العزيز دعوة الاسلام وخاطب العرب بما أهلهم له من ابدغ رسالته الى البشرية جمعاء، فاننا نجد أمرا عجبا لم تكرر هناك كلمة للتعبير عنه قبل وبعد أنسب من الاعجاز فانه ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالخطابة ولا بالسجع ولا غير ذلك مما تعرفه العرب، من فنون القول فكان ان القوم باليد وأقرأوا بالعجز وهم أساطين البلاغة وفرسان البيان حتى كان منهم من سجد لسماع بعض آيات منه، وتسمية جملة وفقره بالآيات هى نفسها من باب الاكبار والانبهار بأسلوبه الرائع، والموضوع بحاله كما يقول علماؤنا فى هذا المقام، فان الكلمات والمفردات هى ما عرفوا وعلموا، ولكن الصياغة شىء آخر، غير ما عهدوا واعتادوه، فلقد روى عن الاصمعي انه قال سمعت بنتا عربية خماسية أو سداسية تنشد :

استغفر الله لذنبى كله      قتلت انسانا بغير حله  
مثل غزال ناعم فى دله      وانتصف الليل ولم اصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك! فقالت ويحك أتعد هذا  
فصاحة مع قوله تعالى: «وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه  
فإذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنسى انا  
رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين» فجمع نى اية واحدة. بين  
أمرين ونهيين وبشارتين

وهذا بعد انتشار الاسلام والعلم والمعرفة وتفتح الاذهان  
وارتفاع المستوى الثقافى لدى عامة العرب بما يفوق عدة  
درجات ما كان عليه الخاصة منهم، وحكى عن بعض البلغاء  
أنه كان يتمشددق بمعارضة القرآن حتى اذا قرأ قوله تعالى فسى  
قصة الطوفان من سورة هود. (وقيل يا أرض ابلعى ماءك  
ويا سماء اقلعى، وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى)  
سقط فى يده وعلم أن ما يحاوله انما هو عبث وكيد، وعبارة  
سقط فى يده نفسها هى مما أتى به القرآن ولم تكن العرب  
تعرفه، وذلك فى قوله تعالى من سورة الاعراف: ( ولما سقط  
فى أيديهم) وقد عدها علماء البلاغة من روائع كلم القرآن!

وهذا الذى قلناه فى أسلوب القرآن، وقاله العلماء قبلنا  
قد عبر عنه رئيس مجمعنا السابق الدكتور طه حسين رحمه

الله بكلام بين واضح مركز يطيب لنا أن نسوقه هنا وهو قوله، «ان القرآن ليس نثرا، وليس شعرا، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، ليس شعرا وهذا واضح فهو لم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثرا لانه مقيد بقيود مخصوصة لا توجد في غيره، وهذه القيود بعضها يتصل بأواخر الايات وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة، كان وحيدا في بابيه، لم يكن بعده مثله ولم يحاول أحد أن يأتي بمثله، وتحدى الناس أن يحاكوه، وأنذرهم أن يجدوا الى ذلك سبيلا»

ورفد الحديث النبوي اللغة العربية بمثل ما رفدها به القرآن أو بقريب منه، لفظا وأسلوبا، ولا غرو فهو (ص) أفصح العرب، وأوتى جوامع الكلم. ولم يفتأ علماء البلاغة يضعون كلامه في المرتبة الثانية بعد القرآن، وقد تكلم بكلمات لم يسبق للعرب أن نطقت بها كتعبيره عن النساء بالقوارير في قوله لانجشة الحادي: «يا أنجشة رفقا بالقوارير» وكانت هذه الكلمة أبلغ ما سمع في وصف النساء وطبيعتهن الرقيقة وسرعة تأثرهن، وهي تشبه ما يقال الان في النساء من وصفهن بالجنس اللطيف، ومن بليغ ذلامه قوله في غزوة حنين: «الان حمى الوطيس» قال في النهاية: الوطيس التنور ،

وهو كناية عن شدة الامر واضطرام الحرب، ويقال أن هذه الكلمة أول من قالها النبي (ص) لما اشتد البأس يومئذ ولم تسمع قبله، وهى من أحسن الاستعارات ونستطيع أن نقول باطمئنان أن الروح التى نفخها القرآن والحديث فى اللغة العربية، جعلتها أعظم اللغات السامية أو أمها كما يقول غير واحد من العلماء، وضمنت لها البقاء على الدوام، وصارت بعد ذلك لا ترداد الا غنى وتراء، لاسيما وقد سار المعالجة على نهج الرسول فى اعلاء شأن العربية والتمكين لها فى أقطار الارض بحيث أصبحت اللغات الكبرى فى ذلك العهد تبعا لها .

ووضع علي بن أبى طالب (ض) قواعد لضبطها وحفظها من التغيير هي ما سمي بعلم النحو، وهكذا توبعت المسيرة فى العصور الاولى حين نقلت العلوم والفنون وترجمت كتب الاوائل فى عهد الامويين والعباسيين فاحتضنتها العربية ولم تضق بشيء منها، بل زادت عليها واتسعت لما لم تتسع له لغة قبلها، اذ صارت مستودعا للمعارف البشرية تقتبس منها الامم والشعوب وتحتذى حذوها فى التجديد والابداع .

ولما أصابها ما أصابها من الفتور، بسبب فتورنا نحن فى الحقب المتأخرة، اعتبارا بقاعدة اللغات بأمها، لم تفتأ أن



انبعثت من جديد بانبعائنا، وتأثرنا لخطى سلفنا فى تنميتها  
وحقتها بدم جديد من العمل الذى تقوم به النخبة من أهل العلم  
فى هذا المجمع والجامع العربية الاخرى، وسبق أن قام به جيل  
النهضة قبل تأسيس هذه المجمع، وهو ما يستحدث من الفاظ  
وأساليب بالطرق المتبعة فى ذلك من أول يوم أحس العرب  
فيه بحاجة لغتهم الى التطور والتنمية ونتج عن ذلك ان صارت  
العربية أداة طيعة للتعبير عن كل ما يختلج فى النفس من أدق  
المشاعر وأعمق الاحاسيس، وتصوير كل ما تقع عليه العين  
من مختلف المراثيات ومتنوع المشاهد، وأصبحت تتوفر على  
عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التى  
وضعت حديثا ولم يكن لها وجود قبل زمن قليل، ونبغ فيها  
الكتاب والشعراء الذين يظاهون كبار كتابنا وشعرائنا فى  
العصر العباسى، الاول ثم هي ما تزال تطوى المراحل وتبغى  
فوق ذلك مظهرها

وإذا كان هناك ما يلاحظ على عملنا اللغوى، فهو بطؤه  
الذى يجعل المسيرة تتعثر، أحيانا من عدم ايمان البعض  
بطاقة العربية وقدرتها على استيعاب المستجدات من العلوم  
والفنون والتقنيات، ومن ثم يعارض هذا البعض فى تدريس

المواد العلمية بالعربية ويتحمل مسؤولية تأخر الركب العربى عن قافلة التقدم التى لا تنتظر أحدا، وأحيانا من تعارض الاتجاهين، المحافظ والمجدد، فبينما يتزمت الاول حتى يمنع ما لا يجوز أن يمنع، يندفع الثانى فيقع فى محظورات لا تقبل بحال، وتمتد المعركة ولا يسفر العمل عن نتيجة الى أن يأتى التمهيص، وربما لا يأتى .

ومثالا على ذلك لفظ الفنان الذى أطلقه العرب الاولون على حمار الوحش لتفننه فى العدو، وكان بعض المعاصرين استعمله فى وصف رجل الفن فلم يرتضه الملتزمون بالنص اللغوى، وكان كتاب مثل مصطفى صادق الرافعى يضطرون الى استعماله فيضعونه بين قوسين للتعبير عن تحفظهم بأزائه مع أن له أكثر من وجه لتخريجه عربيا. وقد أشرنا الى ذلك فى بحثنا الذى ألقيناه فى هذا المجمع منذ سنوات بعنوان السليقة عند العرب المحدثين .

ومثله الجدل الذى يثور من حين لآخر فى جمع معجم على معاجم ومشهور على مشاهير زعما بأن قياس الاول معجمات والثانى مشهورون ، وليس هذان بأقيس من معاجم ومشاهير ، ومن التطاول ان يغير مصحح الطبع اسم كتابى مشاهير رجال

المغرب في مقدمته الى مشهورى رجال المغرب وحمدت الله على أنه  
لم يستطع أن يغيره فى عنوان الكتاب الخارجى المرسوم بمعرفة  
خطاط. ويلجأ المجيزون للجمع المذكور الى تتبع الكلمات  
التي جاءت على وزنه للاحتجاج بها، مع أن من المقرر نحويا  
أن مفاعل هو من باب فعالل الذى قال فيه ابن مالك :

وبفعالل وشبهه انطقا      فى جمع ما فوق الثلاثة ارتقى  
من غير ما مضى .....

وقد ذكروا ان شبه فعالل مفاعل وفياعل وفعالول وغيرها  
مما هو مثله عددا أو هيئة، وان خالفه زنة، كمفاعيل وفعايل  
ونحوها، فهذه كلها جموع لما زاد على الثلاثة من الرباعى  
فما فوقه، أصليا أو مزيدا، باستثناء باب كبرى وسكرى  
ورام وكاهل ونحوها، وهو ما أشار له ابن مالك بقوله: من  
غير ما مضى، فان له جموعا أخرى ذكرها. ويدخل فيما يعنينا  
هنا أعنى مفاعل معجم ومصحف، مما أوله مضموم ومسجد  
وموطن مما أوله مفتوح وممول ومضرب مما أوله مكسور،  
فيقال قياسا معاجم ومصاحف ومساجد ومواطن ومعاول

ومضارب، ويقال فى مشهور ومرسوم ومفهوم مشاهير ومراسيم  
ومفاهيم قياسا أيضا .

والامثلة على اجتهاد بعض اللغويين فى حال وجود النص  
كثيرة، ويكون الخطب سهلا اذا وافق الاجتهاد النص، ولكن  
المشكلة هى أن يخالفه، وأن يتعصب له صاحبه فتصير عويصة،  
وكل ذلك مما يعوق مسيرة العمل اللغوى ويبطئ به الى  
حد بعيد .

وأما قبل وبعد فان حرصنا على أن تسير حملة التنمية  
اللغوية فى الطريق السوى، ولا تخالف عنه يمينا أو يسارا  
ليس فقط لتجنب المعوقات وسرعة الوصول الى الغرض  
المنشود، بل ولربط الحاضر بالماضى، والمحافظة على هذه  
الميزة التى تجعل اللغة العربية حية فى أذهاننا كما كانت فى  
أذهان آبائنا وأجدادنا، فلا نبتعد عن مظلة القرآن الذى هو  
هو الحارس الحقيقى لها ولنا .

# رأي بشأن توحيد أسماء الشهور العجمية

تلقى معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط رسالة من المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بعمان تشير الى القرار الذى اتخذته الامانة العامة للمنظمة بدراسات امكانية توحيد أسماء الشهور الميلادية بين أقطار الوطن العربى وقد تفضل المعهد المذكور فأحال علي الرسالة المشار اليها لابداء رأيي في هذه المسألة .

وانى أشكر المعهد على حسن ظنه بى وأحیی المنظمة على هذه البادرة الطيبة التى هى خطوة ايجابية فى سبيل توحيد الفكر العربى ومفاهيمه .

وأبادر فأقول لو انا عبرنا بالشهور العجمية لكان أولى لانها ليست كلها ميلادية على الاقل فى أصل استعمالها ولا يعبر عنها فلكيو العرب وعلماء التوقيت الا بالشهور العجمية وعلى كل حال فالمقصود أسماء الشهور القبطية والسريانية والرومية وهذه تسمى الآن بالافرنجية وهى مستعملة في المغرب العربى وحدها وفى بقية لبلاد العربية بالاضافة الى القبطية والسريانية .

ففى مصر تستعمل الاسماء الثلاثة أى القبطية والسريانية  
والرومية، وفى سوريا ولبنان والعراق تستعمل السريانية  
والرومية وفى بقية الاقطار العربية نرى الميل الى استعمال  
الرومية اكثر .

ومن ذلك يعلم ان انتشار الاسماء الرومية أكثر من غيرها  
فهى مستعملة فى الاقطار العربية كلها ان لم يكن أساسا  
فبالجمع كان يكتب مثلا: آدار (مارس) وذلك لهذا الانتشار  
الذى اكتسبته الاسماء الرومية بسبب الاتصال بالثقافة الاوربية  
والحضارة الغربية والاقتباس منهما والنقل عنهما فضلا عن  
عدم معرفة الاسماء الاخرى فى كثير من الشعوب العربية  
وخاصة فى المغرب العربى .

ونرجع الى التاريخ وكتب الفلك والتوقيت والطب  
والفلاحة عند العرب فنجد الامر فى الماضى كما هو فى الحال  
مبنيا على الازدواجية فى ذكر أسماء الشهور السريانية  
والرومية معًا وذلك فى مقابلة أسماء الشهور العربية أعنى  
القمرية، وفى رصد الظواهر الجوية وحلول الفصول الاربعة  
وموافقة الامزجة والطبائع المختلفة للانسان والنبات حال  
الملاج والغراسة وغير ذلك .

لكن هذا فى كتب المشاركة، أما فى كتب المغاربة التى  
بأيدينا من أهل الاندلس والمغرب الكبير فأننا نجد الاعتماد  
على الاسماء الرومية، ولينظر كتاب الفلاحة لابن بصال  
وفلاحة أبى الخير وفلاحة ابن العوام الاندلسيين ونظم أبى  
مقرع المغربى فى التوقيت وروضة الازهار للجادرى والمقنع  
للمرغيشي وكتب ابن البناء العددي الذى كان من أعظم رياضى  
القرن الثامن فإن الامر عند هؤلاء كلهم لا يعدو ما ذكرنا .

ويحسن هنا أن ننقل عبارة لابن البناء فى كتابه منهاج  
الطالب لتعديل الكواكب نشر وترجمة خوان برنيط الى  
الاسبانية طبع تطوان 1942 ومن اسم هذا الكتاب - المنهاج -  
أخذ الاجانب كلمة almanac وهذه العبارة هى التى تقول  
«وأشهر تاريخ العجم عندنا بعد تاريخ الهجرة التاريخ  
الرومى»

وحيث الأمر كذلك فإن أمر توحيد أسماء الشهور العجمية  
أو الميلادية بتعبير آخر فى الاقطار العربية لا يكون الا باختيار  
أحد هذه الاسماء ولا يكون بترضية هذه الجهة أو تلك والا  
لاخذنا أربعة أشهر من القبطية وأربعة من السريانية وأربعة  
من الرومية وهذا غير معقول أو لسميناها بما يشار به اليها

من الشهر الاول والشهر الثانى الخ ولكن ما لنا ولهذه  
الحساسيات .

ان الاختيار، انما يكون بالمرجحات التى تغلب كفة على  
كفة .... ولعل الجانب العام الذى أشرنا اليه آنفا، كاف فى  
ترجيح الاسماء الرومية اضافة الى أنها المستعملة والمعروفة  
أكثر من غيرها فى جميع الاقطار العربية حتى أنها تؤخذ  
تفسيرا لغيرها يزداد على ذلك أنها الاسماء الوحيدة للشهور  
الميلادية فى عالم الغرب والموافقة فى هذا الباب مع العالم  
المعنى بالتاريخ الميلادى أكثر منا مما يرغب فيه وقد كان  
النبي (ص) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه

بقيت قضية تعريب هذه الاسماء فقد وقع فيها اضطراب  
كبير فى العصر الحديث وذلك من قصور الترجمة وعدم  
اطلاعهم على تعريبها السابق الذى قام به العرب الاولون  
وصقلوا هذه الاسماء وصاغوها على نهجهم الاصيل فقالوا فيها :  
يناير - يبرابر - مارس - أبريل - ماي - يونيو - يونيه -  
غشت - شتنبر - أكتوبر - نونبر - دجنبر

ويقولون فى ماي - مايو - ومايه - وفى يونيو - يونيه -  
وفى يوليو - يوليه - ويوليوز فما نسمعه او نقرأه اليوم من



من جانفي وفبراير او ففري وجوان وجويي واوت او  
أكوسطوس وسبتمبر وديسمبر كله يجب ان يلفى لان صيغة  
تتبدل أيضا من بلد الى بلد فتنتفي فكرة التوحيد ولان من  
المقرر مجعيا أن ما عربته العرب سابقا لا يعاد تعريبه وانما  
يستعمل بالصيغة التي نطقوه بها .

## خلاصة

الشهور غير العربية تسمى الشهور العجمية .  
وهي ثلاثة السريانية والقبطية والرومية وهذه الاخيرة  
تسمى اليوم بالافرنجية والميلادية  
أسماء الشهور السريانية :  
تشرين الاول - تشرين الثاني - كانون الاول - كانون الثاني  
شباط - آذار - نيسان - أيار - حزيران - تموز - آب -  
أيلول .  
أسماء الشهور القبطية : توت - بابيه - هتور -  
كيهك - طوبه - أمشير - برمهاث - برمودة - بشنس -  
بؤنة - آيب - مسرى .  
أسماء الشهور الرومية وهي الافرنجية والميلادية : يناير -  
يبرابر - مارس - أبريل - مايو - يونيه - يوليه - غشت -  
شتمبر - أكتوبر - نونبر - دجنبر .

هذا وينبغي الا يغيب عن الذهن أن ابتداء السنوات  
السريانية والقبطية والرومية مختلف فأول شهر في السنة  
السريانية هو كانون الثانى وفى السنة القبطية هو أمشير  
وفى الرومية هو يناير .

وإذا شئنا المزيد من التدقيق فى التعريب فلنقل فى  
تشرين الثانى الاخير وكذا فى كانون الثانى الاخير لان  
الثانى انما تقال عندما يكون هناك ثالث وكذا القول فى ربيع  
الثانى وجمادى الثانية من أسماء الشهور العربية يقال فيها  
ربيع الاخر وجمادى الاخرة .

هذا وقد تلقيت رسالة شكر وتنويه من المنظمة العربية  
للمواصفات والمقاييس بعمان على يد معهد الدراسات والابحاث  
بالرباط، مما يدل على الموافقة المبدئية على هذا الرأى  
والله الموفق .

# الازهر المعجزة - الازهر الجامعة

## الازهر الرباط

### بمناسبة عيدہ الالفی

الازهر معلم من معالم الدنيا فى الهداية والارشاد الى الحق والى الطريق المستقيم، ومنار من منارات العلم والعرفان فى الماضى والحاضر، ولاسيما فى العالم الاسلامي، وحصن من حصون الدفاع عن الامة والدود عن الحمى لايطا، بنى أساسا للدعوة الى اتشيع والرفض ومجابهة السنة والجماعة فأبى أن يكون الا مصداقا لما يوحى به اسمه الشريف من الاخلاص لتحقيق الدين وروح الرسالة المحمدية، وهل ينسب الى الزهراء رضي الله عنها الا ما كان من صميم الحنيفية السمحة، وصریح ما أتى به والدها المصطفى عليه الصلاة والسلام؟ فكانت تلك هى المعجزة التى لا تكذيب فيها ولا تشكيك :

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الاولياء

نعم فمن الثابت تاريخيا أنه ما فتح جوهر المقلی مولى الفاطميين مصر، وخطط لعاصمتهم القاهرة ، ألا وهو يريد

جعلها منطلقا للدعوة الى المذهب الشيعي وبسط نفوذه على مصر والبلاد المجاورة لها، فبنى الجامع الازهر لاقامة شعائر هذا المذهب التي لم ترحب بها السجوامع الاخرى كجامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون، وما استقرت أقدام الفاطميين بمصر، حتى جعلوا من الازهر مركزا لبث مذهبهم ونشر تعاليمه بين الناس ونصبوا فيه الدعاة الكبار من رجال الحكم المتعصبين لمبادئهم ودولتهم كالقاضي النعمان والوزير يعقوب بن كاس، واصبح هو والجامع الذي بناه الحاكم بعد ذلك للفرض نفسه، ينافسان جامعي عمرو وابن طولون الذين لم يسلسا قيادهما للدولة الجديدة الا فيما أرغما عليه من بعض الشعارات التي يلتزم بها الشيعة في الاذان والاقامة والقراءة في الصلاة والدعاء، وان كان كثيرا ما يقع الاختلال بذلك عند تراخي المراقبة.

وتسمية الجامع من أول يوم بهذا الاسم المشتق من اسم السيدة فاطمة الزهراء التي ينتسب اليها الفاطميون، تشير بالفرض الذي بنى له، فهو وان لم يكتسب صفة الجامعة أو المعهد العلمي الا بعد بنائه بزمان طويل كما يقول المؤرخون، كان معدا لهذه المهمة، الا أن الانصراف الى تثبيت أركان

الدولة ونشر سلطانها فى البلاد، آخر ذلك الى أن استتب  
الامر وتمهدت السلطة للفاتحين

وكان الفاطميون قد استفادوا من تجربتهم فى المغرب،  
عدم امكان فرض مذهبهم على السكان بالقوة، لانهم اصطدموا  
بردود الفعل الشعبية وبوقوف رجال الفقه وأئمة الدين فى  
وجههم حتى ألجأؤهم الى التخلي عن الدعوة أصلا، وبدأوا  
يفكرون فى نقل الدولة الى المشرق، وتاريخ الصراع العنيف  
بين علماء المغرب والدعاة الفاطمين أشهر من أن يذكر .  
لهذا اعتمد الفاطميون عند لجوئهم الى مصر على الدعوة  
المجردة وعدلوا عن المجابهة بينهم وبين السكان وأرصدوا  
الازهر لما أنشأوه له من الدعوة، وحشدوا له الاطر الكفيلة  
من أعلى درجة، على ما أشرنا اليه آنفا، ولكننا على طول المدة  
التي ملكوا فيها واستبحال ملكهم وامتداده الى خارج مصر،  
واغيائهم فى نشر مذهبهم والدعاية له والتظاهر بشعائره،  
لم نر له من أثر على عقيدة الشعب المصرى واتجاهه السنى،  
فما أن أعلن صلاح الدين الايوبى اقامة الخطبة لبنى العباس  
بمصر سنة 567 وكان قد مر على قطعها — كما يقول الحافظ ابن  
كثير فى كتاب البداية والنهاية — مائتا سنة وثمان سنين،

منذ تغلب الفاطميون عليها، حتى عادت المياه إلى مجاريها،  
وإذاً شيئاً لم يكن فلا أثر للبدعة الفاطمية ولا لفقه الشيعة  
الذي دان الحكم يجري بسببه والحال أن النعاضد آخر خلفاء  
الفاطميين ما يزال بتقيد الحياة، ولكنه لم يفتأ أن توفي،  
وعزل صلاح الدين قضاة الشيعة وولى انتضاء علماء من أهل  
السنة، وكانت المعجزة أن الأزهر التي لم يخرج في مائتي  
سنة شخصاً واحداً شيعياً من أهل مصر، مع أنه إنما أنشئ  
لذلك، هو الذي استمر على مر السنين، بعد ذلك يخرج من  
أعلام السنة وفقهاء المذاهب الأربعة من مصر وأقطار العالم  
الإسلامي ما لا يحصى ولا يعد .

ومن هنا يبدأ تاريخ الأزهر الجامعة، فقد أعيدت إليه  
الجمعة بعد توقف قليل، نظراً لافاقمتها في جامع الحاكم لكونه  
أوسع، مع اعتماد مذهب الشافعية الذي يقول بعدم تعددها  
في البلد الواحد وبعد الجمعة وتجديد الظاهر بيبرس له  
جملت أنظار أهل العلم تتجه إليه وتلقى فيه بعض الدروس لكن  
حركة انشاء المدارس العلمية التي نشطت على عهد السلاطين  
من بني أيوب وتوظيف المدرسين فيها من علماء الحديث  
والفقه وسائر العلوم، استقطبت طلبة العلم والمدرسين فلم

تعد الدراسة الى المساجد، ومنها الازهر الا بعد ضعف هذه الحركة وانقطاع الجرايات المخصصة لها.

ونما الازهر شيئاً فشيئاً وأصبح قبلة العلماء والمتعلمين ونال من عناية الملوك والامراء والوزراء ما جعله يتميز عن بقية المساجد الجامعة، ولم يلبث ان صار أهم مركز فى العالم الاسلامى للدراسات الاسلامية والمربية وغيرها من العلوم والفنون، أى أنه اكتسب صفة الجامعة من جديد، ولكنها فى هذه المرة جامعة على مذهب أهل السنة والجماعة، يقصدها الطلاب من كل فج عميق، هذا ليتفقه فى الدين، وهذا للغة والادب، وهذا للفلسفة والاخلاق، وهذا للعلوم الرياضية والطبيعية، وغير ذلك من التخصصات العلمية التى تولت رعايتها مصر بعد سقوط بغداد واضطراب الاحوال فى المغرب، وهجرة الكثير من الادمغة العبقريّة اليها، ومنها على سبيل المثال من المغرب عالم النحو واللغة الكبير أبو حيان<sup>٩</sup> أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسى الفرناطى وعالم الاجتماع وفيلسوف التاريخ أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون .

وفى هذا الحين كان الانتساب الى الازهر شرفاً يفتلى

على النسب-الخاص للشخمر، فهذا الشيخ خالد بن عبد الله  
النحوى الشهير عرف بالازهرى وترك نسبه لانه هو نفسه  
كان ينتسب الى الازهر، وله متن في النحو لا يعرف الا  
بالازهرية

والازهر كما هو معلوم ثالث ثلاث جامعات اسلامية كبرى  
طبقت شهرتها العالم، وهى جامعة القرويين بفاس وجامعة  
الزيتونة بتونس والازهر بمصر، ولكن الازهر امتاز عن  
القرويين والزيتونة بكونه أوسع أفقا وأرحب ساحة، فهو  
بحكم احتضان مصر للمذهب الشافى، وانتساب حكامها  
الاتراك الى المذهب الحنفى، مع انتشار المذهب المالكى  
فيها من قديم نظرا لاستقرار تلامذة مالك الكبار بها كابن  
القاسم وابن وهب وابن عبد الحكم وغيرهم، صار معهد  
لدارسة الفقه على المذاهب الاربعة المتبعة فى العالم الاسلامى  
لاسيما وقد كانت مصر مدارس رسمية موقوفة على فقهاء  
هذه المذاهب، ولما اضمحلت انتقل الدارسون بها الى الازهر  
فهذه الميزة مما انفرد به الازهر وجعله مقصودا من جميع  
انحاء العالم الاسلامى التى تتمذهب بأحد هذه المذاهب، ولا  
كذلك الزيتونية أو القرويين .



ثم أنه لتوسطه في مصر حلة الوصل بين افريقيا وآسيا  
وقلب العالم الاسلامي والعربي، كان مهوى أفئدة الطلاب من  
القارتين وفي العصر الحديث جعلت الوفود تؤمه حتى من  
أروبا وأمريكا، فهو يؤوي الآلاف من الطلبة والدارسين  
الواردين عليه من الخارج زيادة على أبناء مصر الذين يقعدونه  
أيضا بالآلاف، لاسيما بعد تنظيمه تنظيما عصريا واحداث  
شهادة السلك الثالث به وقيام مدينة البعث مقام الأروقة  
التي كانت محل سكنى الطلبة، وكان رواق المغاربة مما يدل  
على استيعابه من قديم حتى لطلبة البلاد التي لها جامعات  
موازية .

وحسبنا هذا في التعريف بجامعة الأزهر، وان كنا لم  
نزد على حكاية الواقع، وخير الكلام ما قل ودل .

ونتكلم على الأزهر الرباط، وهو كلام يبتدىء برفضه  
للمرفض الشيعة الذي عبرنا عنه بالمعجزة، ويتمادي مقترنا  
بعلمه في نشر العلم، ذلك العمل الرائع الذي رأينا صورا منه  
في الأزهر الجامعة ولا يخفى أن القيام على تعميم المعرفة  
وحماية العقيدة واعلاء كلمة الله هو من افضل الرباط، ألم  
يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: (وجاهدكم به رأى بالقرآن]

لكن الازهر على بلائه الحسن، دائما، بالفكرة والكلمة، كان ينزل الى الميدان كلما اقتضى الحال ذلك، ولا يكتفى بالقول عن الفعل ولذلك فهو يعتبر رباطا وقلعة لحراسة الكيان ورد كل هجوم على الشعب المصرى المسلم سياسيا كان أو عسكريا بالمواقف المشرفة والثورة العارمة، ويذكر المؤرخون في هذا الصدد أكثر من موقعة خاضها علماء الازهر مع الولاة المستبدين والظلمة المستعمرين بحقوق السرية المتسلطين على رقابها والغاصبين لاموالها، فما هو الا أن يتنادى العلماء بمقاومة الطفيان ويستجيب لهم عامة الناس، حتى يتراجع أولئك الحكام عن غيهم ويلقوا باليد خوفا من الاطاحة بكراسيهم وذهاب ارواحهم، وكم من تظاهرة قام بها الشعب ضد الجور والفساد ولجا القائمون بها الى الازهر احتما به وطلبا لتدخل علمائه أرجعت المسؤولين الى صوابهم وتلافوا ما فرط منهم بمجرد انذار العلماء لهم ووقوفهم بجانب المتظاهرين علما منهم بما للعلماء من نفوذ فى اوساط الشعب، وانهم ان غضبوا لا يقف فى وجههم شيء .

وفى العصر الحديث كان علماء الازهر أكبر المعارضين

والمقاومين للحملة الفرنسية وغزو نابليون لمصر، وبرغم تودد هذا الطاغية لهم وتقربه اليهم فأنهم حاربوه في السر والعلن حتى أثاروا حفيظته عليهم وفتك بعدد كبير منهم، وما كان ذلك ليثنيهم عن الائتثار به والتحدى لسلطانه لحد انه لما اضطر الى العودة لفرنسا وترك الجنرال كليبر خليفة عنه في حكم مصر قتلوه وكان ذلك سببا في انسحاب فرنسا من مصر .

وكذلك قاوم علماء الازهر الاحتلال الانكليزي لمصر واشتركوا في ثورة أحمد عرابي، وكان الشيخ محمد عبده من الضالعين في هذه الثورة الشهيرة، وعوقب عليها بالنفي كما عوقب قائدها عرابي، وفي ثورة 1919 بقيادة سعد زغلول كان الازهر منطلقا لهذه الثورة وكان منبره مثابة للخطباء والشعراء المحرضين على مقاومة الانكليز والمطالبين بالاستقلال وكل من عرابي وزغلول ينتمى الى الازهر بحكم دراسته فيه .

واذا دل هذا على شيء، مما نحن بصدده فهو ان الجامعات الاسلامية، وعلى رأسها الازهر، حصن حصين لكيان البلاد المادى والمعنوى فكما أنها تحافظ على مقوماتها الروحية من

دين وعلم وخلق، فهي كذلك تحافظ على حريتها واستقلالها وأمنها ... وقد كان الفرنسيون يسمون القرويين بالبيت المظلم، ويخافون منه على وجودهم في المغرب أكثر من خوفهم من جيش منظم يحاربهم ويعمل على انهاء حكمهم له، وقد كان ما خافوا منه وانبعثت طلائع المقاومة من القرويين كما انبعثت الثورة على الانكليز في مصر من الازهر

هذه كلمة لا تفي بحق الازهر، ولا تؤدي ما في أنفسنا من شعور عميق بعظمته، ونحن نحیی عيده الالفی، ولعل الاوصاف الثلاثة التي وصفناه بها تكون أكثر تعبيراً من كل ما يقال فيه وهي المعجزة والجامعة والرباط .

## لماذا يشوه الغربيون تاريخ الاسلام وحضارته

يكثُر الاستنكار والتدسّر من موقف الكتاب الغربيين من تاريخ الاسلام وحضارته وقلة أنصافهم وعدم اعترافهم بالحقيقة ولا ينتظر من خصوم الاسلام ان يمجّدوا تاريخه وينوهوا به، وهم من أول ظهوره كانوا له أعداء وكانوا بنبيه كافرين، ولا ننسى ما تقولوه على النبي الكريم في قصة الأفك والغرائق وزيد وزينب وغيرها مما قصه القرآن ورده ردا حاسما وكان اليهود والمنافقون من وراء هذه الافتراءات وترويجها بين المؤمنين أملا في تشكيكهم وارتدادهم عن الدين الحنيف .

ولما نشأت الدراسات الاستشراقية بعد الحروب الصليبية واهتم الغربيون بنقل العلوم العربية وترجمة الكتب الاسلامية الرائدة الى لغاتهم، مما كان سببا في نهضة أوروبا وتفتحها على دنيا المعرفة وعالم الفكر، نسج المشتغلون منهم بالتاريخ والدراسات الاجتماعية على منوال سلفهم من خصوم الاسلام الاقلية نادرة وكان منهم يهود حاقدون وكان منهم مسيحيون متعصبون، وكان منهم ملاحدة لا يؤمنون بدين، فكان مهمهم هو تشويه التاريخ الاسلامي ووصمه بما هو براء

منه، حقدا وبنيا من عند أنفسهم، وادعوا أنهم يقومون بأبحاث ذات طابع علمي، وأنهم يتجردون من كل باعث الا باعث الكشف عن الحقيقة التاريخية وهم غير صادقين فيما يقولون، وان اغتر بهم بعض المغفلين وقليلو الاطلاع على المصادر التاريخية المعتمدة .

ومن الجدير بالذكر أن ننوه بأن أمانة علماء التاريخ عندنا واهتمامهم بتسجيل جميع الروايات المتعلقة بالاحداث والوقائع التاريخية، سواء كانت صحيحة أو ضعيفة بل حتى لو كانت موضوعة تلوح عليها امارات التزوير، كان بما استغله المخربون اسوأ استغلال في اصدار أحكامهم وتسطير أباطيلهم، معتمدين عليه دون الروايات الصحيحة، تعنتا منهم وتعصبا ممقوتا .

وللكنيسة دور كبير في هذه المهمة الشنيعة، وقد أشار الى ذلك الكونت دو كاستري في كتابه الاسلام خواطر وسوانح ، قائلا كفى تخربا وافتراء من القسس الذين يلقنونا أن المسلمين يحجون الى مكة حيث يوجد داخل الكعبة فيها تمثال لمحمد من الذهب عيناه من الياقوت ولا يقصر الادباء والفنانون في هذا العدد عن المؤرخين والكتاب الاجتماعيين من المستشرقين

فدانتى الشاعرة، الايطالى المعروف صاحب الكوميديا الالهية  
التى لها قيمة عظيمة فى الادب العالمى - مع أنه استفاد  
كثيرا فى وضعها من التراث العربى خاصة رسالة الففران  
للمعمرى وكتاب الفتوحات لابن عربى وقصة المعراج، فانه  
لم يخجل أن يجعل النبى (ص) فى الجحيم مع الكفار والملاحدة  
وبعض الفلاسفة .

وكذلك تمثيلية فولتر التى شهر فيها بالرسول (ص) وهو  
يعتبر فى فرنسا من اعلام الفكر الحر، وكأنه كان يدارى عن  
حرية والحاده بالتقرب الى الكنيسة فى هذه التمثيلية القذرة

على أن هذا كله لم يكن ليؤثر فى التصور العام للتاريخ  
الاسلامى شيأ عند بعض الناس، لولا ما ترجم من كتب المادة  
وغيرها الى اللغة العربية، ودراسات المستشرقين حول حياة  
النبى (ص) والفتوح الاسلامية والخلفاء الراشدين والصحابة  
عموما والملوك المسلمين وتاريخ التشريع والعقيدة  
الاسلامية والتراث العربى بعامه، مما شعن بالافكار المعادية  
للاسلام والتحامل على رجالاته والدس والتشنيع ومجافاة الصواب  
عن عمد واصرار، من غير أن يصحح ذلك ويرد الخطأ الذى  
يتضمنه وتبين الحقيقة ويحرر الموضوع عند الترجمة ويحذر

مما فيه من تخرص وتزوير، يحسبه الجاهلون، حقائق تاريخية مبنية على البحث والتمحيص، ولاسيما عندما يكون المصدر يوحى بأنه من العلماء والباحثين النزهاء كدائرة المعارف الاسلامية والكتب المختصة .

وقد شعر مترجمو الدائرة بما فى بعض موادها من تقول رخيص فراموا تصحيحها ولكن على استحياء وبيعض كلمات لا يكون لها الاثر المطلوب .

ثم زاد فى الطين بلة أن بعض الدارسين من أبناء البلاد الاسلامية الذين تتلمذوا فى الجامعات الغربية على بعض هؤلاء المخربين تبنا أفكارهم واعتمدوها فى دراستهم ودروسهم فخرجوا لنا جيلا من الشاكين المشعونين بأباطيل المستشرقين ، وكان عملهم أكثر فسادا واشاعة للبلبله وانتجريح للتاريخ الاسلامى الذى يجب أن تعاد كتابته بروح الايمان والخيرة والبحث العلمى النزيه من أبنائه المومنين به، المتعمقين فى فهم نصوصه، العارفين بما جرياته وأحواله الذين لا يوتون من تعصب ولا يتهمون بادعاء فقد ثبت أن علماء المسلمين وباحثيهم احرص على العلم وأولى من قال الحق ولو على أنفسهم .



وعلى كل حال فإن مما يعزينا عن هذا التجني من  
خصوم الاسلام هو انصاف بعض الباحثين الغربيين واعترافهم  
بالحقيقة ومديونيتهم للمسلمين في نهضتهم العلمية حتى أن  
فيهم من يعتنق الدين الاسلامي عن دراية واقتناع بأنه الدين  
الحق والطريق المستقيم وذلك مما يزيد في حق بعض هؤلاء  
المتعصبين وحقدهم هداهم الله

# ادبيات الدعوة

لما كنت متوجها من الدار البيضاء الى مراكش لحضور  
المؤتمر الرابع لرابطة العلماء جرى على لساني الدعاء الاتي:  
أيارب ان الامر أمرك كله

ومنك لنا التأييد والعون والنصر  
فيسر علينا ما تعسر واهدنا

مسيرة بر فى سبيلك يا بر  
مسيرة بر بكسر الباء، ويا بر بفتحها كما لا يخفى ،،، وكان  
برفقتى الاخوان الفاضلان العالمان الجليلان السيد عبد الله  
شاكِر الجرسيفى والسيد الحسين وجاج، فرددا، معي هذا  
الدعاء ومررنا في طريقنا بين الصويرة ومراكش بقرية تسمى  
الذيابات وقد غزتها جموع الهبيين بمباذلهم وأقذارهم فقلت:  
ان الذئاب احاطوا بالذيابات

وما الخبيثون الا للخبيثات  
متى تجنب هذه الارض رجسهم

يا للرجال وأرباب المروءات  
وحين كنا بمراكش، كانت مأذنة الكتبية تواجهني من كل

مكان، وتغيلتها سبابة مرفوعة تشير الى الوجدانية فقلت هذه  
الايات :

ماذنة الكتبية انتصت كشاهد بوحدة الله  
احسب مراکش قد سمعت قول النبي «وحد» لأواه  
فرفعت سبابة فذة تنبه الغافل واللاهى  
والاشارة فى البيت الثانى الى ما جاء فى الحديث ، من أنه صلى  
الله عليه وسلم رأى رجلاً أشار بسبائتيه فى التشهد فقال له :  
احد احد بقطع الهمزة وتشديد الحاء المكسورة على صيغة فعل  
الامر، أى وحد الاشارة بأصبع واحد ،

وفى أثناء انعقاد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، وانا ألقى  
خطاب الامانة العامة، عند التعرض لظاهرة انتشار الخمر  
والفساد، مال علي السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية  
وأبلغني قرار جلالة الملك بمنع تعاطي الخمر والتجارة فيها-  
بين المسلمين فقطعت الخطاب وأبلغت الامر الشريف الى  
الجمهور الذى قابله بعاصفة حادة من التصفيق .

ثم قلت فيما بعد هذه الايات :

غرسكم اثمر من يومه يا ناصري الملة والدين

فهذه الخمراتى منعها      عن امر سيد السلاطين  
كذلك كل مطلب بعدها      محقق ولو الى حين  
فانها شريعة المصطفى      تقول رب البيت يمينى  
ويحلوا لنا ان نحى هذه الذكرى الادبية لمؤتمر مراكش ونسال  
الله عز وجل ان يوفقنا ويسدد خطانا وان يعلي كلمة الحق  
والدين وينصر الاسلام والمسلمين بمنه وكرمه آمين .

# السلطان مولاي حفيظ والحماية

كانت جلسة أدبية مع ثلة من الشباب يبحثون قضايا الفكر والتراث في تاريخ المغرب الحديث، ولاسيما ما يتعلق منه بالرجات الكبرى التي أصابت البلاد كاحتلال بعض المدن من طرف قوات الإستعمار الإجنبي الذي كشر عن أنيابه لتمزيق وحدتنا الترابية، وفرض الحماية الفرنسية والاسبانية والدولية على مناطق من وطننا العزيز وما كان لذلك من أثر في نفوس المواطنين عموما والمثقفين منهم بالخصوص وانعكاس ذلك الاثر على الاعمال الادبية لهؤلاء المثقفين من كتاب وشعراء ومؤرخين وحتى الفقهاء الذين لا بد أن يستنكروا استيلاء الكفار على أرض الاسلام، ويصدروا الفتاوى ويلتقوا الخطب في وجوب المقاومة وعدم جواز الخضوع لحكم أعداء الدين .

وسأل شاب من المهتمين بالموضوع هل نجد من قال شعرا في أحتلال مدينة الدار البيضاء سنة (1925) ولو كان من قبيل ما قيل في احتلال تطوان في القرن الماضي  
يا دهر قل لي علامه كسرت جمع السلامة !

فملق الاخر أن احتلال الدار البيضاء كان مأساة، فقد ضربت  
بالمدافع وماتت خلائق كثيرة من سكانها الابرياء، فرد صاحب  
السؤال قائلاً: انها كانت بحاجة الى من يقول فيها مثل ما قال  
شوقي في دمشق :

سلام من صبا بردى ارق      ودمع لا يكفكف يا دمشق  
فقال الملق: ان فاس ضربت كذلك بالمدافع ، وأصيبت بعض  
مساجدها وأضرحتها ولم نسمع من قال فيها شعرا، فاستدرك  
السائل أن حافظ قد قال في المغرب على العموم عند اعلان  
الحماية، قصيدة هذا مطلعها :

هفت العروش وزلزلت زلزالا

عرش هوى وقديم ملك زالا

فصاح صاحب التعليق اننا نبحث عما قاله المغاربة أنفسهم لا ما  
قاله حافظ أو غيره، وتدخل أحدهم قائلاً دعونا من الشعر،  
ولنتحدث عن الكتابة، فهل كانت هناك أقلام تناولت القضية من  
الجانب السياسى والقانونى، ودافعت عن استقلال المغرب،  
ونددت بالتدخل الاجنبى، واحتجت على الاقل بمؤتمر الجزيرة  
الخضراء الذى أصفقت فيه كلمة الدول على احترام استقلال  
المغرب والاعتراف بسيادة السلطان على كامل ترابه،

وطالت الجلسة وكثرت الاستفسارات والردود، ولكنها لم تنفصل على شيء جديد الا ما هو معروف، من ان هناك اشعارا دون المستوى المطلوب فى هذه الاحداث الخطيرة، وكتابات معظمها انشائي وبأسلوب لا يقره العصر، ولذلك بقيت فى ادراج أصحابها ولم يكن لها صدى يعتد به، وكنت أشرت ونحن نتجاذب أطراف الحديث الى أن للسلطان مولاي حفيظ الذى أمضى عقد الحماية على ما هو معروف، اشعارا كثيرة فى الموضوع، ندد فيها بالحماية وما جاء منها، وهاجم الحماية واتهمهم بالخيانة فى لهجة شديدة وانفعال قوى، فطلب الجماعة أن أطلعهم عليها فوعدتهم بذلك، وأعتقد أن ذكرى عيد العرش وهذا العدد الخاص بها من مجلة دعوة الحق، فرصة مناسبة للوفاء بذلك الموعد، وكم أوجت الينا هذه الذكرى المجيدة من معان وأفكار وموضوعات تاريخية ضمناها قصائد شعرية وأبحاثا سياسية تعكس المفزى الذى من أجله أنشئ عيد العرش، وهو تعزيز السيادة الوطنية والمركز الدولى لوطننا المغرب .

ومن هذا المنطلق ننظر فى شعر السلطان مولاي حفيظ الذى نصنفه فى باب الشعر السياسى والتاريخى لتعلقه بالحماية

وظروفها المعروفة، ونتسامح فى صياغته المهلهلة ، لان ما يهمننا منه هو مضمونه وقائله، وفى ذلك ما يحدد الموقف الرسمى من هذه الحماية المفروضة، ويلقى عليها أضواء كاشفة من المسؤول الاول عنها.

وأول هذا الشعر قصيدة طائية القافية، من خمسين بيتا ،

من الطويل، سماها الطامة الكبرى ، وهو اسم مقتبس من القرآن الكريم الذى عبر به عن يوم القيامة ، ولاشك أن السلطان عنى بهذا الاسم الهائل الحماية ، وان كان لم يتحدث عنها الا بالاعتذار ومجادلة الخصوم الذين يحملونه تبعتها، فهو يفتتحها بالرضا والتسليم لما قدر وينحى للائمة على المنتقد والمعترض، ويتساءل هل يمكن للعبد مهما كان شأنه أن يدفع المقدور، ويقول :

فان كنت قد أعطيت جاها فحاسبن

نفائس أنفاس تجدها على خطأ

وان كنت قد أعطيت علما ولا أرى

لديك سوى نزر فما يكشف الفطما

وان كنت ذا ورد على فرض أنه

على المنهج المحمود فلتخش محبطا



أيرفع حكم الله أن قال قائل

رايت خلاف الحكم كشفا مورطا

ويمضى على النسق في الجدال مستظهرا بأنه نصح وعلم ودعا  
الى التمسك بالكتاب والسنة ونصرة الدين فلم يستجب له  
أحمد :

دعوت لنصر الدين كل موحد

فما أبصرت عيني مجيبا مرابطا

ونلاحظ ان القافية فى هذا البيت مؤسسة وفى الابيات السابقة  
مطلقة وهو عيب من عيوبها، ولكن القصيدة فى غالب أبياتها  
على هذا المنوال .

وفى شعر السلطان قصيدة نونية من ستين بيتا من بحر  
الوافر، يتشوق فيها الى المعاهد والمرايع من أرض الوطن  
فهى على هذا منظومة بمد التنازل عن العرش، وفى أرض  
الغربة، وتسمى لسع المقارب والافاعى فى افشاء خبث  
المساعى، ولذلك فهى تتعرض أيضا للرد على المتقولين  
والمتجنين عليه، وتنفى عنه كل تهمة بالخيانة والمضاربة  
بالمصلحة العليا للوطن .

يقول فى الغرض الاول :

أنفسى هل رضيت بذل خزي

منسوط حكمه بالكاتبين

وهل أضناك بالتذكار حب

وهل أغراك شجو الباءين

ولم أعهد طبيعتك التصابي

ولا الافراط عند الرحلتين

وعهدى أن نفس الحر تهوى

مناخ المزارث الماجدين

وتأبى الملك فى أرض بذل

ولو كانت مقر الوالدين

فلم يرض السرى نقيض هذا

والا فانتهاج القارظين

ومن يهوى الركون لارض ذل

خليق أن يؤوب بخزيتين

أجابت بالبدار عقيب هذا

أترضى أن تؤوب بخيبتين

الم تسمع مقالة أهل جعد

بناد رافض للاطبيين

بأنك بائع الاحرار ظلما  
بافشاء لأردى الناقلين  
ففاض الدمع بالتسكاب فيضا  
بما قلتين لى نضاختين  
فان ابتع بملكى ربح ذل  
اذن يدعى رجوعى بالحنيين  
وان أدع الخؤون فان مالى  
غدا منى كآثر بعد عين  
نصيب حازه المبتاع حقدا  
وأخر عند اهل القبلتين  
ويقول فى الغرض الثانى :  
وهبنى قد فعلت جميع هذا  
وقد بعت الجميع بدرهمين  
فلم أخرج بأهل الغرب طرا  
ولم أك أمرا بالجلستين  
فهجر أو جهاد دين ربي  
وما الايواء احدى الحسينين  
ومالى لا أرى المقدام يدعو  
مطاع الامر رب الدعوتين

وان يك بالدفاع له اقتدار

ولم يفعل فشر الماكرين

وان بالمعجز كان له اتصاف

فما أغنى حليف الكذبتين

عنيدي هل سمعت نسيج شمر

لشهم ساطع كالنيرين

فهون في أقاصي الناس هين

وهون في العشرة غير هين

أمر بالقتال وجل قومي

يرى أن الحماية فرض عين

أمر بالجهاد وحال قومي

تلاشى في لذائد خملتين

باسراف النكاح وشر أكل

فلا ترجى الكنوز لغير ذين

والقصيدة الثالثة التي قالها السلطان في موضوع الحماية ، هي

قصيدة ميمية تقع في تسعة وخمسين بيتا من بحر البسيط ،

وكلها تشهير بالحماة وتعزية لهم وكشف عن مساوئهم ودلالة

على ما يخفونه من دناءة ومكر وخداع، ويظهر أنه نظمها في

حالة غضب وثورة نفسية وضيق، بما يعانيه من معاملتهم السيئة وهو لاجئ بديارهم وواقع تحت حكمهم، وهذا ما ينبئ به مطالعها الذى يقول فيه :

لا مرحبا بديار فوقها علم

ابان سرا وأفشى الفحش بينهم

لا بارك الله فى أرض بها قطنوا

ولا سقى الغيث ربعا فيه حكمهم

لا خير فى العيش فى الاقطار قاطبة

إذا تحكم فى المليء منتقم

انى يكون لهم فى الارض مكرمة

وبيت مجدهم فى العز منهدم

انى تكون لهم فى الارض مفخرة

وقد تحقق عند الناس كذبهم

ومنها فى التبرم بهم والدعاء عليهم :

لا بلفوا أملا يقضى به أرب

وحكم الله سيفا فى رقابهم

ترجو القلوب وقلبي كل منقمة

تحل أرضهم فى اثرها النقم

قد آن يقضى على من كان متصفا

بالمجور فى الارض بين الناس ينعدم

كم من قلوب لدى الاسعار ساجية

تسائل الله جهرا فى خرابهم

كم من عيون لدى الاسعار باكية

حتى تكون بيوت الذل دورهم

ومنها فى التحدث عن نفسه ونزوحه عن المغرب :

لئن تركنا لواء المجد عن كرم

فقد بكت فقدنا الاعلام والحكم

وودعتنا شمس العلم كاسفة

يفقدها الكفاء لما حازها الخدم

وشيعتنا قصور فاض مدمعها

وقبلها الاهل والاوطان والنقم

وفى هذا الشعر قصيدة للسلطان على غرار القصيدة المعروفة

(يا غارة الله) وزنا وقافية ، يدعو فيها على أعداء الدين

الذين غيروا أحكام الشريعة وجعلوا الظلم شعارا لهم، واغتروا

بقوتهم التى ظنوها ما نعتهم من مكر الله، مستنزلا غضب الله

عليهم وبطشه بهم، ومن ثم عبر فى افتتاحها بيا سطوة الله.

بدل يا غارة الله .

وبها ينتهى ما وقفنا عليه من شعر مولاي حفيظ الذى  
ينطبق على كل ما قيل عنه من أنه أمضى عقد الحماية تحت  
الضغط الخارجى والداخلى، وأن النص الذى أمضاه من هذا  
العقد المشؤوم ليس هو النص الذى وقع التعامل عليه بينه  
وبين الحماة الغزاة، وأنه تنازل عن العرش لعدم قبوله  
التصرفات الاستبدادية التى صار موظفو الحماية يباشرونها  
وغير ذلك مما ضاق به ذرعا ونفس عن صدره منه بنظمه لهذه  
الاشعار، ولله الامر من قبل ومن بعد .

# صراع اللهجات

قرأت في المدة الأخيرة مقالا للاستاذ المرحوم شفيق جبرى من هذه المقالات التى كانت مجلة المجمع العلمى العربى (مجمع اللغة العربىة بدمشق) تفتتح به أجزاءها، وكان عنوانه مرونة دمشق ومنذ قرأته وأنا أحاول التعليق عليه ولكن الاشغال تصرفنى عن ذلك، والباعث هو أنه أثار فكرة طالما راودتنى فى صراع اللهجات، فتعليقى عليه هو من باب تجاوب الأفكار، وربما طرح تفسيراً للقضية لا أجزم به كما لم يجزم الاستاذ جبرى فيما لاحظته من مرونة أهل دمشق فى هذا الباب.

يقول الاستاذ جبرى انه شاهد فى دمشق امرا لم يشاهده فى بلد آخر، وهو أن الوافد على هذه العاصمة العربىة الكبرى من أى بلد عربى آخر، لبنان أو فلسطين أو مصر أو الحجاز أو العراق (ولم يذكر المغرب العربى) لا يغير حديثه فى لهجة بلده ولو أقام بها سنين عديدة، وعلى عكس ذلك فإن أهل دمشق اذا غادروها الى بلد آخر مما ذكر، لا يستقر بهم السقام فيه حتى يأخذوا بتقليد لهجة ذلك البلد ويعدلون عن لهجتهم الدمشقية، وضرب بعض الامثلة على ذلك شملت غير دمشق من



## بلاد الشام

ويعمل ذلك بأن دمشق عبر تاريخها الطويل استقبلت كثيرا من الغزاة والفاحين، وان أهلها كانوا مضطرين لمسايرة الموجات البشرية التي اكتسبتها تبعا لذلك في أمور عديدة ومنها تقليد اللهجات المختلفة لأولئك الاقوام، ولم ينته أن يلاحظ أن بلادا أخرى شهدت مثل ما شهدته دمشق من ذلك ولكن أهلها لم يغيروا لهجتهم في الحديث من باب المسايرة كنصر، فبعزوا ما اختصت به دمشق أخيرا الى مرونة أهلها وان كان لا يجزم بذلك على سبيل القطع

وأقول اننى لاحظت منذ عدة سنين كيف تتصارع اللهجات بين المدن والاقاليم داخل المغرب، ثم خارجه، وحين تأملت فى الامر مليا وجدت ان ذلك لا يقع بين المدن أو الاقاليم المتكافئة وخصوصا اذا كانت صغيرة أو متجاورة، فطنجة وتطوان لا يحدث من أهلها شىء من ذلك، يسكن التطواسى طنجة ويقطن الطنجى بتطوان مدة طويلة ولا يغير أحدهما لهجته الى لهجة البلد الذى يحل فيه، وبين لهجتهما خلاف غير قليل وكذا يقال فى الرباط وسلا على تقاربهما وحسبانهما كالبلد الواحد ومع ذلك فلهجة الرباطى غير لهجة السلوى، ولا

يلاحظ البتة أن السلوى قلد لهجة الرباط أو العكس

لكن إذا انتقل الطنجي أو التطواني أو الرباطي أو السلوى إلى فاس فسرعان ما نجده يقلد لهجة أهل فاس وينقلب حرف المضارعة عنده إلى تاء فتسمعه يقول: تناكل تنشرب تنقرا مثلا، ويتحدث كفاسي ربما حتى في حال عودته إلى بلده حيث يغتضخ أمام أهله وأصدقائه، ولا كذلك الفاسي إذا انتقل إلى هذه المدن، فإنه يبقى متمسكا بلهجته طوال حياته وربما أورثها لبنيه، وبذلك يتميز الفاسي في أي مدينة حلها ولا يتأقلم مع من يساكنهم إلا بعد أمد طويل

وأكثر ما يميز نطق الفاسي، هذه الراء التي يقترب بها من الغين، ولا يتفصى منها بحال، وتسمعه فتعرفه ولو نطق من وراء البحار وكان صديقنا المرحوم عبد الكبير الفاسي يسميها راء الحضارة، تلميحا إلى أن الفرنسيين ينطقونها كذلك

وتأتي نقلة أخرى وهي نقلة الناسي إلى مراکش وكذا من ذكر قبله، فلا يلبث أن يصبح مراكشي اللهجة ينطق بالقاف المعقودة، ويقول: نكل لي نكل لك، وما أشبه ذلك وهكذا تذوب لهجته القوية في لهجة يظهر أنها أقوى منها

ثم تأتي نقلة أخيرة تهدم هذا كله، وهى نقلة هؤلاء من  
مراكشي وفاسي وتطوانى وغيرهم الى مصر فينقلب الجميع الى  
مصريين وتتبدل لهجاتهم فتصبح مصرية خالصة ويسقط حرف  
المضارعة من كاف وتاء وغيرها ويصير باء أو حاء، حسب  
اللزوم ويقولون فى ظرف الزمان: ذى الوقتى وربما اخروا  
آدوات الصدر تنجيذا مغلصا للهجة المصرية فيقولون لك :  
تمشي فاين وتتكلم على من؟ وهكذا تأكل اللهجة المصرية جميع  
اللهجات لماذا؟ لأنها الاقوى ؟ محتمل .

لكن الواقع هو هذا ، وهو ملاحظ فى البلاد العربية كلها  
تقريبا فالسودان لانكاد نفرق بينه وبين مصر، وقد يكون  
ذلك راجعا لطول اقامة المصريين فى السودان وحكمهم له  
ولكن تقليد العالم العربى لمصر فى كثير من الالفاظ والعبارات  
وطريقة النطق واضح فى المغرب العربى كله وفى السعودية  
ودول الخليج وسوريا وغيرها وهو يرجع الى عدة أسباب لا  
نستثنى منها قوة اللهجة المصرية وتهذيبها وتطويرها المسير  
لاحداث الزمن .

ومن أعظم الادلة على قوة اللهجة المصرية فى نظرنا انها  
تفوز الاجانب المقيمين بمصر على اختلاف جنسياتهم

وطبقاتهم، فقلما تجد اجنبيا فى مصر او اقام بها مدة. من  
ديپلوماسى او تاجر او عامل، لا يتكلم العربية بلهجة مصر،  
وليس هذا لغيرها من بلاد العرب فيما نعرف

نخرج من هذا بنتيجة هى أن اللهجات يسالم بعضها بعضا  
اذا كانت لبلاد متكافئة وتطرع اذا كانت لبلاد متنافسة  
ويكون التحكم لاقواها فيما يظهر، ولا ندعى أن هذا الرأى هو  
الحكم الفاصل فى القضية لا سيما وان المسألة لها استثناءات  
ومنها أن التقليد لا يكون فى كل ألماظ اللهجة القوية كما  
سميناها. وان التقليد قد يكون من الاقوى للاضعف كما يقع  
فى حرف القاف مثلا من تقليد أهل المدن لبعض قبائل البادية  
فى نطقه معقودا بمجرد اقامتهم فيها ولو قليلا بل حتى وهم  
فى مدينتهم، ويعترض هذا الحكم أيضا ما قاله الاستاذ جبرى  
من ولع أهل دمشق بتقليد لهجات غيرهم من الاقطار، علما  
بأننا لا يمكن أن نقول أن دمشق مدينة غير قوية الشخصية  
وانها من المدن الصغيرة فيبقى تعليله لهذه الظاهرة بالنسبة  
الى أهلها بالمرونة التى وصفهم بها له وجه من النظر.

وأخيرا نلاحظ ان تقليد اللهجات قديم وانه كان يلقى  
استنكارا شديدا من الناس، ويعكس فى هذا الباب أن بعض

الافراد المناربة كان اقام بالجزائر مدة، ولما رجع كان يردد بعض الكلمات التي علقت بذهنه او بلسانه مما يستعمل في الجزائر ولا يستعمل في المغرب، وذات مرة وهو يتحدث الى البقال الذي يتعامل معه، قال له: قداش تسالني يا فلان؟ اى كم لك علي؟ فمد البقال ذراعه في وجهه وقال له قدر هذا! فشكاه الى الوالي، ولما حضر ورآه الوالي يطمع اللهجة الجزائرية ويتزىي بزي أهلها قال له كم أقمت في الجزائر فأجابه سنتين، فقال اضربوه مائتين فما تخلص منه الا بمشقة، وهى نادرة وقعت فى طنجة وصاحبها كان معروفا بالاسم والعين عند أهلها الى حين قريب ولله فى خلقه شؤون .

# شباب تقدمي

قال صديقي وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى: أقدم اليك الشاب التقدمي عزيز ادريس ، فقلت : اهلا وسهلا ، تشرفنا ، وقال الشاب : اننى مسرور ، بمعرفتك يا أستاذ ، وقد طالما تقت الى ذلك حتى تفضل صديقي وصديقك السيد عبد الرحمان بتقدمي اليك، فقلت شكرا له على مسعاه الحميد، وقال الصديق بتخايب ، ما أظن أنه مسمى حميد ، ولكن عسى وعسى (I) ! واستغربت هذا الكلام من صديقي وان كنت أعرفه كثير المزاح . وأما الشاب فانه لم يلتفت الى كلامه وقال لى : علمت أنك تميل الى الدين ! فقلت ماذا ؟ وتدخل الصديق فقال : ان السيد عبد العزيز درس الصحافة وهو يشتغل بالتمثيل ولكنه قليل الدين كما نقول باللغة الدارجة ، فهو يسألك هل أنت متدين ؟! وقال الشاب : أوف منك ألا تدع السخرية حتى في المواقف الجادة !

وأردت أن أغير مجرى الحديث، فقلت لصديقي : هو اسمه عزيز أو عبد العزيز ؟ فضحك الصديق ضحكة مدوية وقال :

---

(I) تلميح الى الآية الكريمة وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ،

ان والده السيد ادريس سماء عبد العزيز، ولكنه يقول : انه حر ، لا يرضى أن يكون عبدا لاحد ، فهو يسمي نفسه عزيزا ، وكم من معركة قامت بينه وبين والده على هذه القضية ، فهو يصر على أن لا يدعى الا بعزيز ، ووالده لا يدعوه الا عبد العزيز، فلا يستجيب له، ولما رآه يسمي نفسه عزيز ادريس قال له : ان ادريس هو اسمي أنا ، وأما أنت فأنت ادريس ، ألا ترضى أن تكون ابنه ؟ وكان ما أجابه به هو اننا ذات واحدة ، فاسمك هو اسم لي أيضا ، وقال له والده واسمك الا يكون اسما لي ؟ قال طبعاً ، قال : فأنا اذن ادريس عبد العزيز ! قال : لا ، أنت ادريس ادريس، لان جدي اسمه ادريس فيجوز أن تتخذ اسمه تعريفا لك ، فقال والده : يعنى أنا ادريس مرتين ، قال نعم ! قال : أفلا أقول ادريس الثانى ! قال : لا ، هذه خاصة بالملوك ، ولكن يمكن أن تقول : ادريس ب ! ..

ثم قال الصديق : ووالده رجل طيب ، كلما خاض معه في حديث وأجابه بهذه الصفاقة ، طوى على ما به وبقي هو على تمنته ، فقال الشاب : دعنا من خرافة الوالد ، فان عقليتك وعقليته واحدة ! أجاب الصديق : وهذا من التقديمية يا سيد

عزيز ؟! وقلت وأنا اقصد الى تلطيف الجو : يظهر أن الحجاب بينكما مرفوع ، فقال الشاب من غير اكتراث : اننا فى صراع دائم من هذا القبيل . ان السيد عبد الرحمان وان كان ما يزال شابا يحمل مع الاسف أفكارا رجعية تكاد لا تجمل فارقا بينه وبين أكثر الناس جمودا على القديم ، وقال هذا الاخير موجها الكلام الى الشاب : لعل ما ينقضى لاكون شابا تقدما مثلك هو أن أمر على سوق «قلب شقلب» (I) فأتزين ببذلة فضفاضة من هناك وأضع لفة من الورق فى دورة المياه ، وأقول عن والدى انه خرافة !

وظننت أن الشر سيثور بينهما بعد أن وصلا الى هذا الحد من التنازع ، ولكنى دهشت لرؤية الصديق يبتسم ابتسامته المبهودة والشاب ينتزع منه الكلمة ليقول فى غير مبالاة بما سمع : ان هذا يا أستاذ ، ومن على شاكلته ، يعتقدون أن الوالدين شيء مقدس ، وأن كلامهما يجب أن لا يخالف ، وهم يسبغون عليهما وعلى كل شيء فى الحياة صفة دينية تسلتزم الطاعة والخضوع ، فلا يمكن أن نتناقش فى أمر ولا يقحم حكم الدين فيه ، العلم ، الصناعة ، المال ، الحكم ، المرأة ، الزواج ،

---

(I) هو سوق الملابس المستعملة الواردة من أمريكا أطلق عليه المصوم هذا الاسم لان المشتري يقلب البذل بعضها على بعض وهو يختار منها ،



الموسيقى ، حتى ارتياد شاطئ البحر للفسحة عنده له حكم دينى ، وقد كره اليينا هو وأمثاله الدين وكل ما يمت اليه بسبب ، ولذلك أردت أن أعرف رأيك فى الدين عندما خاطبتك أولا بما علمت من ميلك اليه ، ولكنه شغلنا بهذه السفسطة خشية ان ننتهي من المذاكرة فى الموضوع الذى نتيجة لا تروقه ، وقهقه الصديق وقال : أتظن الاستاذ ممن يعبد الله على حرف ، فهو بمجرد مهاترتك ولا أقول مذاكرتك سينقاد فى حبلك ويوافقك على عجرك وبجرك ؟ وأخذت الكلمة فقلت للشاب : ان الناس قبل جيلنا هذا كان الدين هو فلسفتهم الحياتية ، فكانوا يحكمونه فى كل شأن من شؤونهم ، وكانوا لذلك سعداء ، لانه ألف بين قلوبهم وجعل منهم مجتمعا ذا طابع خاص لا تنافر بين أفراده ولا تخالف . . ونحن اليوم نعيش بلا فلسفة أو على فتات الموائد الفلسفية المعاصرة ، ولذلك كثر بيننا النزاع الذى يفضى الى التقاطع والبغضاء والعداء وأصبحت وحدتنا الوطنية مهددة شأن المجتمعات المفككة التى تدفعها الفوضى واللامسؤولية ،

قال الشاب : علينا اذن أن نضع لنا فلسفة جديدة تقوم مقام الدين فى العهد البائد أو نتبنى فلسفة كاملة من

الفلسفات المصرية التي سمت بأصحابها الى أوج التقدم  
والإزدهار .

وقال الصديق : ان عدوك رقم واحد هو الدين ! فما بالك  
وقد انسلخت منه تريد الناس كلهم أن ينسلخوا منه ولا  
تكتفى بنفسك ؟ أتظن أن العالم كله على مثل عدائك  
للدين ؟ ؟

ونظر اليه الشاب نظرة اشمئزاز ثم توجه الي فقلت له :  
أما أن نتبنى احدى الفلسفات المعاصرة فما أظن ذلك بنافعنا  
شيئا ان لم يزد في شقائنا ومحتتنا ، لان هذه الفلسفات قد  
فصلت على أصحابها وهم قد عاشوا أطوارها المختلفة من نشوء  
ونمو الى نضج واستواء ، فلم يشعروا بنشاز فيما بينها وبين  
حياتهم اليومية ، وأنت اذا أردت أن تطبق القانون الفرنسي  
على الشعب الايطالى مثلا تكون قد ظلمته ، لان القوانين من  
صميم حياة الشعوب وعناصر تكوينها المادى والمعنوى ، هذا  
وفرنسا وايطاليا شعبان لاتينيان أوربيان دينهما واحد ،  
وأحوالهما الاجتماعية والاقتصادية متشابهة ، فكيف بشعب  
مثل المغرب تختلف مقوماته كل الاختلاف عن فرنسا اذا أردت  
أن تحكمه بالقانون الفرنسي أو بأى قانون أجنبى آخر ؟ وما

قيل فى القانون يقال فى باقى شعب الفلسفة الحياتية المستوردة .

واما أن نضع لنا فلسفة حياتية جديدة فلا من ينازع فى ذلك، ولكن لا نقول انها تقوم مقام الدين ، لان الدين له دوره فى الحياة ، لا تغني عنه الفلسفة ، كما أن الفلسفة لا تغني عن العلم ، والواجب أن تتساند هذه القوى الخلاقة ليتهيأ للشعب عيش أرغد وحياة أفضل . قال الشاب : اننا لا نريد أن تعود للدين السيطرة الكاملة على جميع مظاهر حياتنا حتى كيف نقص شعرنا وما نلبسه من أنواع الثياب ، فقلت له : ان للدين عزائم ورغائب ، وهو اذا كان لا يتسامح فى الاولى فانه يكل الثانية الى ما يصطلح عليه الناس ويتفق وميولهم الشخصية فلا تفرضوا آراءكم على غيركم فان لكل واحد مذهبه ومشربه ، ومسألة قص الشعر ألا ترى هؤلاء الافواج من الشباب الذين أخذوا يوفرون ذقونهم اعلانا عن أنهم من اتباع فلسفة ما ، والذين يقلدونهم اعتباطا حتى كاد اطلاق الذقن يصبح علامة على ثقافة الشباب ومثاليته، انهم قبل الآن لو أتيتهم بكل ما قاله الانبياء والفقهاء فى اعفاء اللحى لما قبلوا منك ولا استمعوا اليك، ولكنهم لما اصطلحوا على ذلك صاروا

يتباهون به فيما بين أقرانهم ، فلماذا لا تحملون غيركم على هذا المحمل وتحترمون ذوقهم على الأقل ؟ وحاولت أن اداور الشاب عن رأيه فسألته : ان صديقنا ذكر أنك تشتغل بالتمثيل ، فهل مثلت يوما دور أحد رجال الدين ؟ أجاب : نعم مثلت تارتوف ورأسبوتين ! قلت : ألم تقم بدور آخر يساند الدين وينشر فضيلته بين الناس ؟ أجاب : لا ، ان التمثيل فن تقدمى يحارب الرجعية ولا يتقمص الدعاية الدينية ! قلت كيف وهذه محطات الاذاعة ما تفتأ تقدم فى كل مناسبة تمثيلات دينية مؤثرة ؟

قال : تمنى ذلك الهراء الذى يسمونه قصة نوح وابراهيم وموسى وما أشبهها ! فهل استمعت الى مثله قط فى الاذاعة التقديمية كاذاعة موسكو وبلغراد ؟ قلت : ان محطة موسكو تذيع تمثيلات دينية من نوع آخر تمثيلات تمجد الشيوعية وتشيد بأياديها على الشعب الروسى وتقّدر الحزب وقادته الى درجة العبادة ، فهي تبشر بالمذهب بدل الدين وتحل البروليتاريا بدل الكهنوت ! قال : انك تبالغ يا أستاذ ، قلت : أخبرنى عن ضريح لينين هذا الذى جعل الشيوعيون منه محبا للعموم وصاروا يتباهون بعدد من يؤمه يوميا من آلاف الزوار ،

اليس هو مظهر من مظاهر تقديس الفكرة الشيوعية وعبادة  
الاشخاص التى تعد بحق رجعية وتعلقا بالاوهام ؟ فاين هي  
المبالغة ؟

وهنا قال الصديق وأخذ بيد الشاب يخاطبه : لعمري ما  
تريدون الا أن تنقلوا الشعب المسكين من عبادة الله الى عبادة  
أحد زعائنكم كما فعل أشياعكم هؤلاء .

## كلمات معبرة

- نالق الناس بعضهم بعضا فكذبوا وناقوا انفسهم فحتموا وناقوا ربهم فكفروا .

- الذى يضمن خلود الحقيقة هو انه لا يكون هناك مؤرخ واحد .

- هذا المتعصب لرأيه، لو تواضع لله فقط لا غير، لعلم ان كلماته تعالى هى التى لا تبديل لها .

- ما احرى وصف الدبلوماسى ان يكون مركبا من كلمتين الدبلوم والالماس .

- لما كان اسم الحكومة مؤنثا، كانت بحاجة الى رقيب .

- قد تكون الشهرة من التشهير، الا ينتحر بعض الناس لتتشر أسماؤهم فى الجرائد ؟

- اذا اقبل عليك السياسى فاعرف ان حظوظه فى النجاح اصبغت ضئيلة .

- بعض الوزراء صلتهم بالوزر اقوى منها بالاذر

- بعض النواب انما هم انياب .

- انما قالت الآية الكريمة (واثبتوا بينكم بمعروف) لان أكثر الائتمار يكون بغلاف ذلك ، فالعلاقة بين المؤتمرات والمؤامرات وثيقة جدا .

## تصحيح بعض الاخطاء المطبعية الواقعة في هذا الكتاب

الطبعة	السطر	اللفظ	صوابه
16	1	بعد	بعد
20	1	لا يمح	لا يمح
20	19	معادة	معادة
13	22	بواتيه	بواتيه
18	22	الغربي	المربي
23	17	ولم يقفه	ولم يمح
24	8	سقط من هنا المارة التالية	
		مع ما انضم الى ذلك من ظهور الدعوة الروانية	
		في الاندلس واقتطاع هذا الجزء من خلافة	
		المسلمين في المشرق الذي انقطع بسببه اصل	
		مواصلة ... الخ	
27	14	المفايير	الممايير
29	3	كماشية	كفاشية
35	5	فيما	فيهما
37	8	من	عن
41	3	موف	تصوف
47	3	كون	تكون
49	6	ولا من هذا التمثل	ولا اقيح من هذا التمثل
50	16	وهو	وهو
52	7	عاميتنا والمعجم	عاميتنا والمعجمية
61	4	أهيد	أهلا
62	15	ممولان	ممولان
63	3	أن له	انه له
63	5	موافقة	موافقته
63	6	مناقبته	مناقشته
64	4	أكثر	أكثره
67	2	فمالت	فقال
67	10	تفسير	تفسيره
69	16	كتابه	كتابه
73	18	للاغراض	للاغراض

الصفحة	المسطر	الخطا	موايه
78	15	سميد النعم	معيد النعم
79	12	المصب	المصب
82	3	الصدق	الصديق
92	5	من شعره	من شعر
100	10	يشمل	يشتمل
115	8	هذا البيت يقرأ كالتالي	
		فاكي صلاح القد واللحظ في	حرب شج عن صبره اعزل
115	11	شبح	شبح
126	1	طريقها	طريقهما
127	17	بنى مرين	بنى مرينا
137	15	الزيادة	الريادة
138	4	مرعاة	مراعاة
139	15	ما يكون له اصيل	ما يكون له جذم اصيل
141	11	وأقرأوا	وأقروا
142	14	عبث وكيد	عبث وليد
151	3	لابن بـ	لابن بصال
151	15	بتغيير	بتعبير
152	3	اما	انما
153	2	صفة	صيفته
153	12	آب	آب
157	1	آخر	آخر
158	7	سنة	سنة
161	15	بعلمه	بعمله
162	8	المستعمرين	المستهترين
165	2	الفريين	الفريين
166	16	داخل الكعبة فيها تمثال	داخل الكعبة تمثال
168	3	يأنه من العلماء	يأنه من عمل العلماء
170	15	هذه	هذي
176	10	للائمة	باللائمة
190	13	أق	أف
191	7	اينه	ابني
196	5	وراسبوتين	وراسبوتين



# فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
5	مقدمة
9	العربية أمس واليوم
21	هل كان شارل مارتيل وراء وقف المد الاسلامي باوربا
26	محمود حسن اسماعيل
30	سيداتي سادتي
32	أدبيات رمضان
37	نظرة في المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب
58	عناية السلطان مولاي سليمان العلوي بعلم التفسير
69	نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان
81	سابق البربري من جديد
100	نبذة من شعر ابراهيم بن سهل ليست في نسخ دواوينه المطبوعة
118	حارس الكنيسة
127	بنو مرين أصلهم وموطنهم
134	الالفاظ والاساليب المستحدثة
149	رأي بشأن توحيد أسماء الشهور العجمية
155	الازهر المعجزة - الازهر الجامعة - الازهر الرباط
165	لماذا يشوه الغربيون تاريخ الاسلام وحضارته
170	أدبيات الدعوة
173	السلطان مولاي حفيظ والحماية
184	صراع اللهجات
190	شباب تقدمي
198	كلمات معبرة
199	تصحیحات
201	المهرس

# كتب للمؤلف

ظهر للمؤلف الكتب الآتية

أولا في الدراسات الادبية والتاريخية:

- النبوغ المغربي في الادب العربي ثلاثة أجزاء
- ذكريات مشاهير رجال المغرب سلسلة صدر منها 40 حلقة
- أحاديث عن الادب المغربي الحديث
- شرح الشمقمقية
- شرح مقصورة المكودي
- المنتخب من شعر ابن زاكور
- أمراؤنا الشعراء
- التماشيب
- واحة الفكر
- خل وبقل
- العصف والريحان
- ازهار برية
- سابق البربري
- لقمان الحكيم
- لوحات شعرية
- من ادبنا الشعبي
- أربع خزائن لأربعة علماء من المغرب
- مدخل الى تاريخ المغرب
- أدب الفقهاء
- نظرة في منجد الآداب والعلوم
- القاضي عياض بين العلم والأدب

## ثانيا : في الدعوة والدراسات الاسلامية :

- فضيحة المبشرين
- مفاهيم اسلامية
- محاذي الزقاقية
- القدوة السامية للناشئة الاسلامية
- اسلام رائد
- على درب الاسلام
- منطلقات اسلامية
- تحركات اسلامية
- شؤون اسلامية
- الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟
- معارك
- الاسلام اهدي
- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم
- جولات في الفكر الاسلامي

## ثالثا : نشر وتحقيق

- رسائل سعدية
- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث
- عجالة المبتدي في الانساب المحازمي
- ترتيب احاديث الشهاب
- قواعد الاسلام للقاضي عياض
- تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الاشبيلي
- شرح الأربعين الطبية لعبد اللطيف البغدادي
- الأنوار السنية في الألفاظ السنية لابن جـزي
- رسالة نصره القبض للمسناوي
- شرح ميارة على الجمل
- التيسير في صناعة التفسير للاشبيلي
- مناهل الصفا للفشتالسي

مطابع البوغاز، شن. م.